هذا هو الإسلام

(١)

• الدين .. والحضارة

• عوامل امتياز الإسلام

« شهادة غربية »

د. محمد عمارة

مكتبة الشروق الدولية

هذا هو الإسلام

(١)

* الدين والحضارة

* عوامل امتياز الإسلام

«شهادة غربية»

الطبعـــة الأولى
١٤٢٦ هـ ـــ ديسمبر ٢٠٠٥ م

مكتبة الشروق الدولية

٩ شارع السعادة - أبراج عثمان - روكسي - القاهرة

تليفون وفاكس: ٤٥٠١٢٢٨ ـ ٤٥٠١٢٢٩ ـ ٢٥٦٥٩٢٩

Email: < shoroukintl @ hotmail. com >

< shoroukintl @ yahoo.com >

هذا هو الإسلام

(١)

* الدين.. والحضارة

* عوامل امتياز الإسلام

«شهادة غربية»

د. محمد عمارة

مكتبة الشروق الدولية

الفهرس

الموضـــــــوع	الصفحة
*** الدين والحضارة ***	
١ ـ الإسلام: الدين	٩
٢ ـ العدل الإسلامى	١٥
٣ ـ السماحة الإسلامية	١٩
٤ ـ الإسلام: الحضارة	٢٣
٥ ـ العقلانية الإسلامية	٣١
٦ ـ الإبداع الحضارى المبكر.. لماذا؟؟	٣٣
٧ ـ الخاتمة	٤٧
الهوامش	٤٩
المصادر والمراجع	٥١
*** عوامل امتياز الإسلام ***	
« شهادة غربية »	
شهادة المستشرقة الألمانية سيجريد هونكه	٥٥
١ ـ سماحة الإسلام	٥٩
٢ ـ الجهاد الإسلامى	٦٣

٣ ـ التحرير الإسلامى للمرأة ٦٧
٤ ـ العقل اليونانى ٦٩
٥ ـ العقل المسيحى الأوروبى ٧١
٦ ـ رفض المسيحية للفكر اليونانى ٧٩
٧ ـ العقل الإسلامى ٨١
٨ ـ انتصار الفكر الأوروبى على النظرة اليونانية والمسيحية للطبيعة ١٠١
٩ ـ أصول النهوض الإسلامى ١٠٧
الهوامش ١٠٩

* * *

الدين.. والحضارة

- ١ -

الإسلام.. الدين

الإسلام: دين التوحيد.. توحيد الله - سبحانه وتعالى - فى الألوهية.. والربوبية.. والذات... والصفات.. والأفعال.. حتى إنه قد بلغ فى هذا التصور التوحيدى قمة التنزيه والتجريد، اللذين لا تستطيع اللغة البشرية التعبير عن حقيقة كنههما.. وإنما - فقط - تضرب لهما الأمثال التى تقربهما إلى التصورات.. فخلاصة الإسلام، والإخلاص للإسلام، هو التوحيد الذى جاءت به سورة الإخلاص:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١، ٤].. والله - سبحانه وتعالى - فى التصور الإسلامى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وبعبارة فلاسفة الإسلام: «فكل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك»!..

وعلى حين ترى مذاهب وفلسفات أخرى أن لله صورة، وأنه قد خلق آدم على صورته - أى على صورة الله - فإن الإسلام العقيدة - ومعه العربية اللغة - وهى لغة كتابه وشريعته - يفسر هذه المأثورة - «**لقد خلق الله آدم على صورته**» - رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد - بأن الله قد خلق آدم ﷺ على صورته، أى صورة آدم، إذ الضمير، فى «صورته»، يعود إلى أقرب مذكور، فسبحان الله وتنزه عن التصور والصُّور والتصوير.

* * *

وشريعة الإسلام: هى الدرجة العليا والأخيرة والخاتمة فى سلم شرائع النبوات والرسالات، التى توالت - فى إطار دين الله الواحد - من آدم إلى محمد، عليهم الصلاة والسلام.. لذلك، جاءت هذه الشريعة الإسلامية مصدقة ومستوعبة لما بين يديها، ولما

سبقها من النبوات والرسالات والكتب والصحائف والألواح.. مصدقة فى ثوابت عقائد الدين الإلهى الواحد وقيمه.. ومهيمنة على تلك الشرائع، بالتصحيح لما حدث فيها من التحريف والتغيير والتبديل.. وبالتذكير لما وقع فيها النسيان.. وبالتجديد والإضافة فيما تجاوزه التطور الزمانى والتغير المكانى والتبدل فى الأعراف.. كما جاءت هذه الشريعة الإسلامية الخاتمة بالانتقال بنطاق التشريع الإلهى من المحلية إلى العالمية.. ومن التوقيت إلى الخلود.. ومن مجرد «الدعوة الدينية» إلى «المنهاج الشامل» للدين والدولة والأمة والحضارة والاجتماع.. وذلك حتى تحرس الدولة الدين، ويسوس الدين الدولة.. فلم تقف هذه الشريعة - فقط - عند مملكة السماء - خارج هذا العالم - وإنما شملت الدنيا مع الآخرة، والفرد مع المجموع، والآخر مع الذات.. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وإذا كانت آيات العالمية فى القرآن الكريم قد نزلت فى المرحلة المكية، قبل الهجرة والدولة، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فإن هذه العلاقة بين الشريعة الإسلامية وبين أهل الشرائع الإلهية السابقة قد أخذت طريقها إلى «التنظير» و«التقنين» و«التطبيق» منذ اللحظات الأولى للعلاقات التى قامت بين الأمة الإسلامية ودعوتها ودولتها وبين أهل تلك الشرائع والديانات.

- ففى دولة المدينة المنورة، ومنذ العام الأول لقيامها - سنة ١ هـ سنة ٦٢٢م - نص «دستورها» - الذى اشتهر بـ «الصحيفة» و«الكتاب» - على: **أن «يهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.. ومن تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، غير مظلومين ولا مُتناصَر عليهم.. وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصحية والبر دون الإثم»**[1].

وفى أول لقاء مع النصرانية - سنة ٧ هـ سنة ٦٢٨م - السنة التى بدأت فيها العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية - خاطب الصحابى «حاطب بن أبى بلتعة» [٣٥ ق. هـ - ٣٠ هـ ٥٨٦ - ٦٥٠م] «المقوقس» - عظيم القبط فى مصر - محدداً علاقة الإسلام بما سبقه من شرائع ورسالات.. فقال - «للمقوقس» -: «**إن لك دينًا - [أى النصرانية] - لن تدعه**

إلا لما هو خير منه، وهو الإسلام، الكافي به الله فقد ما سواه، وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التورة إلى الإنجيل. ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به..»[٢].

فلما استقبل رسول الله ﷺ، وفد نصارى «نجران» ـ في المدينة سنة ١٠ هـ سنة ٦٣١م. فتح لهم باب مسجد النبوة، فصلوا فيه صلاتهم لعيد الفصح.. وقنّن لهم ـ في العهد الذي كتبه لهم ـ علاقة الشريعة الإسلامية ودولتها بالشريعة النصرانية والمتدينين بها، وهي علاقة «المواطنة» الكاملة في ظل الدولة الإسلامية والمرجعية الدينية والأمة الواحدة.. صنع ذلك رسول الله ﷺ عندما كتب لهم: **«لنجران وحاشيتها وسائر من يتحل دين النصرانية في أقطار الأرض جوار الله وذمة محمد رسول الله، على أموالهم وأنفسهم وملتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم.. أن أحمي جانبهم، وأذب عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السياح.. وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملتي.. لأني أعطيتهم، عهد الله على أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم.. حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم»**[٣].

فقرر الإسلام وقنّن ـ منذ ذلك التاريخ ـ كامل حقوق المواطنة، انطلاقًا من الدين، وعلى أساس من العقيدة الإسلامية ـ وليس على أنقاض الدين والاعتقاد الديني ـ كما هو حال «المواطنة» في حضارات أخرى!

***

والإسلام: هو الدين القيِّم.. ودين القيم.. أي الدين المستقيم، والمقوِّم لأمور الناس ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣].. ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

وهو دين القيِّمة.. أي دين الأمة التي تسلك سبيل العدل والاستقامة ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].. فمساحة القيم والأخلاق في شريعة الإسلام هي مصدر القانون، والمعيار لإسلامية هذا القانون.

والإسلام دين البينة، التي تبين الشيء وتوضحه، حسبما كان هذا الشيء أو عقليا. ولقد ورد هذا المصطلح ومشتقاته في القرآن الكريم في ثلاثمائة وسبعة وخمسين موضعا: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]. ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

* * *

والإسلام دين البرهان، أي الحجة الفاصلة البينة. يسلم البرهان على عقائده وحقائقه.. ويدعو الآخرين إلى البرهنة على ما لديهم من مقولات وتصورات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤]. ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: ٧٥]. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٥٩ ـ ٦٤].

والإسلام علم: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾

[آل عمران: ٦١]

والله في الإسلام - هو ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ [التوبة: ٩٤]. وأولو العلم، في الإسلام، هم مع الله والملائكة - القائمون بالقسط ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط﴾ [آل عمران: ١٨]. وهم الأكثر خشية لله، عندما يكتشفون أسرار الإبداع الإلهي والقدرة الإلهية في الكون ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨].

لذلك، فإن الإسلام إذا حاكم وحتكم إنما يحاكم إلى العلم وإليه يحتكم ﴿ائتوني بعلم إن كنتم صادقين﴾ [الأنعام: ١٤٣]. ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ [الأنعام: ١٤٨]. ﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم﴾ [الأحقاف: ٤].

* * *

والإسلام نور واستنارة وتنوير إيماني ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ [النور: ٣٥] - ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [البقرة: ٢٥٧].

والله في الإسلام - نور: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ [النور: ٣٥] - والقرآن نور: ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ [التغابن: ٨]. وكذلك «الحكمة» - التي هي الصواب العقلي - هي الأخرى نور. وفي الحديث النبوي يقول رسول الله ﷺ: «إن الله يحيي القلوب بنور الحكمة». رواه الإمام مالك في [الموطأ]. ورسول الإسلام ﷺ نور: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ [المائدة: ١٥].

* * *

ـ ٢ ـ

العدل الإسلامي

والعدل ـ في الإسلام ـ اسم من أسماء الله ـ سبحانه وتعالى[٤].

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يأمر بالعدل ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ [النحل: ٩٠]

ولأن العدل نقيض الظلم، فلقد حرّم الله الظلم على نفسه، وعلى عباده ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ [النساء: ٤٠]، ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ [الكهف: ٤٩]، وبذلك، كان العدل هو الروح السارية في الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية. فلقد حرم الإسلام حتى ظلم الإنسان لنفسه، ومن باب أولى ظلمه لغيره ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾ [النساء: ٩٧]

ولقد أوجب الإسلام العدل في كل المعاملات والعلاقات، حتى مع من نكره ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة: ٨]، وحتى مع من يقاتلنا ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [البقرة: ١٩٤]

ولقد أسس الإسلام فريضة العدل مع الآخرين على سنة من سنن الله الكونية والتكوينية التي لا تبديل لها ولا تحويل، وليس على مزاج التغيير، أو خلق التبديل. فالتنوع والاختلاف ـ أي وجود الآخرين ـ هو سنة من سنن الله في كل عوالم

المخلوقات ... ولو حدية والأحدية هي ... فط ... ت الإلهية، ومن هذه ... في عوالم الأجساد ... والأفكار ... والشرائع ... والمناهج ... والشخصيات ... والألسنة ... واللغات ... والأجناس ... والألوان ... والشعوب والقبائل ... بل وفي ... وخيره ... هذا التنوع ... والاختلاف في جميع هذه العوالم هو من سنن الله التي لا تتبدل ولا تحول ... وتتعارف ... يؤنس في التعايش ... والتحاور ... هو المقصد الأسمى لهؤلاء المتفرقة المختلفة ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [الحجرات: ١٣]. ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ [الروم: ٢٢]. ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ [المائدة: ٤٨]. ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين (١١٨) إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]. أي ولتنوع والاختلاف والتمايز بينهم. وفي هذا التنوع والاختلاف تتحقق فرص التسابق في طريق الخيرات بين المختلفين ﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ١٤٨]

وقد كان الإسلام قد اعترف بكل الكتب والرسالات والشرائع التي توالت على طريق علاقة السماء بالإنسان، عبر التاريخ بين الكتب والرسالات ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وتجاوز ذلك - مجرد الاعتراف بالآخر إلى حيث جعل هذا الآخر جزءا من "الذات"، عندما قرر أن تنوع الشرائع السماوية إنما هو تمايز في إطار وحدة دين الله.. فلكل أمة شرعة، أما الدين فهو واحد ... ولأنبياء - ومن ثم أممهم إخوة، أمهاتهم - أي شرائعهم - شتى وأبوهم - أي دينهم - واحد ... وفي هذا المعنى وهذه المنظمة جاء حديث رسول الله ﷺ: «الأنبياء أولاد عَلّات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والإمام أحمد.

وبهذه الحقيقة الخطيرة للإسلام هدم إلى الأبد، وعلاقته [illegible] بغير الإسلامي الذي حرص دائمًا على التمييز بين الحق والباطل، والهدى والضلال، ونظر في هذا الأخير، فلا يعممه ولا يضع الجميع في السلة الواحدة كي لا يعمم بهذا التعميم. وبذلك، لا نجد الإسلام - مثلاً - يضع كل الكتب وجميعهم في السلة واحدة، فيعممهم جميعًا، وإنما نجده يتحدث عن "كثير" من هؤلاء الكتابيين، و"طائفة" من هؤلاء الكتابيين، و"فريق" من آخر الكتابيين، فيهم ﴿ليسوا سواء﴾، وإن ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ ومنهم من ﴿ساء ما يعملون﴾. [illegible] بعد هذا، فيميز بين الفئات المتمايزين وفق كفرهم وعلاقتهم بالكفر سيء فمقرأ قوله ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون (١١٣) يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين (١١٤) وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين (١١٥) إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [آل عمران ١١٣-١١٦]، ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ [آل عمران: ٦٩]، ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ [آل عمران ٧٢]، ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة ١٠٩]، ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ [آل عمران ٧٥]، ﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ [آل عمران: ١١٠]

فمن أهل الكتاب ﴿أمة مقتصدة﴾ ومنهم من هم ﴿أشد الناس عداوة للذين آمنوا﴾ ومنهم من هم أقرب مودة للذين آمنوا ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [المائدة ٨٣]

وإذا كانوا ﴿ليسوا سواء﴾ فإن جزاءهم عند الله ليس واحداً، فالذين كفروا منهم ﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [آل عمران: ١١٦]، ﴿من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [المائدة: ٦٩].

والمسلمون يدعون كل فرقاء «الآخر» إلى كلمة سواء ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: ٦٤]، والحدث معهم يجب أن يكون، ليس فقط بالأسلوب الحسن، وإنما بالأحسن ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فالكلمة السواء هي أصول الإيمان الثلاثة: التوحيد لله، والإيمان بالغيب، والعمل الصالح، مع التنوع في الشرائع داخل أصول هذه الكلمة السواء.

ولهذا العدل الإسلامي، ثم يعمم القرآن الكريم الحكم بالتحريف على كل ما لدى أهل الكتاب، وإنما نبه على أن فيما لديهم هدى ونوراً، فـ ﴿الإنجيل فيه هدى ونور﴾ [المائدة: ٤٦]، ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ [المائدة: ٤٧]، ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾ [المائدة: ٤٣].

هكذا بلغ الإسلام الذروة في العدل مع كل أبواب أصناف «الآخرين» و«المخالفين».

* * *

ـ ٣ ـ

السماحة الإسلامية

ولأن الإيمان ـ في الإسلام وبالإسلام ـ هو تصديق قلبي يبلغ مرتبة اليقين، استحال الوصول إلى هذا الإيمان بأي لون من ألوان الإكراه، فكانت القاعدة القرآنية المحكمة ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ [البقرة ٢٥٦]، لذلك كان سبيل الإسلام إلى القلوب هو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ [النحل ١٢٥]، فمن استجاب قلبه كان مؤمنًا بالإسلام ومن أعرض قلبه، فـ ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ [الكافرون ٦]، ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف ٢٩] وحسابه في الآخرة إلى الله وعلى الله أما في الدنيا، فإن «له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين».

وبهذه الحقيقة كان انتشار الإسلام سلميًا بل ودون مؤسسة تبشيرية ترعى وتعمل على هذا الانتشار، وإذا كانت أغلب بقاع عالم الإسلام وأكثر شعوب الأمة الإسلامية عددًا لم تجر فيها فتوحات ولا حروب إسلامية، فإن كل حروب الإسلام إنما كانت دفاعًا عن حرية الاعتقاد، وحرية الضمير، وحرية الاختيار، وحرية الوطن الذي يعيش فيه المسلمون.. فكل غزوات عهد النبوة إنما كانت ضد الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم وفتنوهم في دينهم ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ [الحج ٣٩ ـ ٤٠]، ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم (٧) لا ينهاكم الله عن الذين

لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين (٨) إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون» [الممتحنة ٧-٩]

فلم يعرف الإسلام «حروب دينية»، لقهر المختلفين على الاعتناق به. وكل صحابة عروبة عهد سودوا من جانبهم شهداء مسلمين وفي المشركين منهم، على سبيل المثال ٣٨٦ قتيلاً و ٨٣ هم جملة شهداء مسلمين و٢٠٣ هم جملة قتلى المشركين. ليست صحابة «حروب دينية»، داخل نصرانية، بل كثيرة وأبرزتها ـ في بضع عشرة ملايين ـ وهو بحسب «فولتير» [١٦٩٤ ـ ٧٧٨ م] ما بين ٤٠ من شعوب وسط أوروبا اليوم في هذه «حروب دينية» التي مثلت تحولاً من الرومان!

في كل معارك «الفتوحات الإسلامية» في القرن الهجري الأول، فيها كانت صدمة جيوش القوى الاستعمارية التي قهرت الشرق، سياسياً وحضارياً وثقافياً، لأكثر من عشرة قرون ضد جيوش القيصرية الرومانية وانكسرت بها نصرانية. ولم تدر معركة واحدة بين جيوش الإسلام وبين أهل البلاد المفتوحة. بل لقد وقف أهل تلك البلاد ـ وهم على دياناتهم القديمة ـ مع جيوش الفتح الإسلامي، وشاركوا في هذه الفتوحات. ورأوا فيها تحريراً لأوطانهم من قهر الاستعمار الروماني، وتحريراً لضمائرهم وعقائدهم من القهر النفسي والحضاري الذي ورأوا بدءاً يمارسه عليهم يد المسلمين ـ وعقاباً إلهياً للمسيحيين الرومان.

وفي «حديث شهد الأسقف «يوحنا النقيوسي» ـ وهو شاهد عيان على الفتح الإسلامي لمصر ـ فحوى «إن الله، الذي يصون الحق، لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجبرهم عليه، وردهم إلى يد الإسماعيليين [العرب المسلمين]. ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر. وكان «هرقل» [٦١٠ ـ ٦٤١ م] جريئاً. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا في مدينة مصر، وبأمر الله الذي يأخذ أرواح حكامهم، مرض «هرقل» ومات. وكان عمرو بن العاص يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئاً من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئاً من سلب أو نهب، وحافظ على الكنائس طول الأيام»[٦]

وشهد بذلك أيضاً الأسقف «ميخائيل السرياني» فقال: «لم يسمح الإمبراطور الروماني لكنيستنا بالظهور، ولم يصغ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نهبت، ولهذا، فقد انتقم الرب منه، لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان، وترك العرب نمارس عقائدنا بحرية، وعشنا في سلام»[٢]

فالفتوحات الإسلامية كانت تحريراً لأوطان الشرق من الاستعمار والاستعباد والاستغلال الروماني، وكانت «إنقاذاً» لنصارى الشرق ونصر بينهم من القهر الروماني، حررت الأرض، وحررت ضمائر الشعوب، ثم تركتهم وما يدينون في «سلام»، فكانت نصرانية الشرق - بهذه الفتوحات - «هبة الإسلام»!

* * *

ـ ٤ ـ

الإسلام.. الحضارة

ولأن الإسلام «دين» و«دولة» و«حضارة»، فلقد فجّر، منذ ظهوره، «الإبداع الحضاري» مع هدايته القلوب إلى «الإيمان بالله».

فبينما افترق انتشار النصرانية في أوروبا ـ في القرن الرابع الميلادي ـ بدأت العصور الأوروبية الوسطى ـ والمظلمة، التي بدأت في القرن الخامس الميلادي، وامتدت عشرة قرون.. حتى إن أوروبا النصرانية لم تعرف أول فلكي في تاريخها ـ «كوبرنيكوس» [٤٧٣ ـ ١٥٤٣م] ـ إلا في القرن السادس عشر.. وكتابه الذي كتبه عن [دوران الأفلاك] سنة ١٥٣٠م، لم يطبع إلا بعد وفاته.. وظل مُصادراً من قبل الكنيسة حتى القرن الثامن عشر ـ سنة ١٧٥٨م!!

بينما حدث هذا لأوروبا المسيحية، فجّر الإسلام ـ منذ ظهوره ـ الإبداع الحضاري، في علوم التمدن المدني، مع علوم العقيدة والشريعة والتفسير والحديث.

إن أوروبا المسيحية قد تخلفت عن العلوم المدنية والطبيعية عشرة قرون، في ظل نصرانيتها، بينما فجّر الدين الإسلامي الإبداع الحضاري في العلوم المدنية والطبيعية منذ القرن الهجري الأول.. ولقد وقفت خلف هذا الامتياز والتميز الإسلامي أسباب عديدة.. في مقدمتها:

تميز النظرة الإسلامية «للطبيعة» و«العالم» عن النظرة المسيحية لهذه «الطبيعة» وهذا «العالم».. فالطبيعة والعالم ـ في النظرة الكنسية ـ «مدنّس»، في مقابل اللاهوت «المقدس»، ومملكة هذا اللاهوت الكنسي أشرف من أن يتحقق في هذا العالم «المدنّس»!.. لذلك، كان الاشتغال بالعلوم الطبيعية والتجريبية عملاً شيطانياً، لأنه طلب للعلم خارج «المقدس» ـ الإنجيل واللاهوت.. وكانت «التجارب» ـ في ظل هذا

اللاهوت الكنسي - كما عمر ليدهي - في ضل الفكر الأعلى على الأنبياء والأحبار والأشراف... وإنما هي من عمل العبيد الأرقاء!..

ومن هنا كان ضمير الكنيسة لكل نبي شعبي يتعلم بتحريض وكتابات هذه العلوم لطبيعية لتحريمه في نهضته الأوروبية على يد رجال الدين بكنيسة وسلطات رجال الدين، وفي صدارة محاكم التي سميت "المحاكم التفتيشية" "بالدين الإلهي" وجعلت العالم والطبيعة مصدر وحيد للمعرفة، بل وجهت الطبيعة، وحتى تحل محله، وجعلت الكنيسة في هذا العالم وحيدة، تملك مفاتيح الغيب ومملكة السماء.

هكذا حجر العلم الطبيعي في أوروبا المسيحية حتى استردت بعقلانية "الشرق" لطبيعة، في ثورتها على اللاهوت

- أن الإسلام الذي فهم قصة "الآيات" و"العلم" - فيما فهم - في ضوء "الطبيعة" كخلقة محكومة لله سبحانه وتعالى - منها في ذلك نفس الإنسان - وهي كلها محكومة فيها بكلمة الله الحق الإلهي بل وهذه الطبيعة - في الرؤية الإسلامية - كلها قوانين تحكمها، وهي تسبح لله بحمده، حتى وإن لم نفقه تسبيحها! ومن هنا شرف الحق الإلهي - حتى بالنسبة لإمام محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] كان يؤثر أن يسميها "الحسنة" بدلاً من "الطبيعة" وهنا شرف الخطاب الإلهي لها بل وعرض الأمانة عليها وإبائها كذلك. شرف العبودية والتسبيح لله!

ثم إن هذه الطبيعة - الحسنة - قد سخرها الله - سبحانه وتعالى - بكل قوانينها وصفاتها لخدمة الإنسان، فهذا هو معنى تسخيرها بالأمانة التي حملها الإنسان، كخليفة لله سبحانه وتعالى: ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار (٣٢) وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار (٣٣) وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ [إبراهيم ٣٢ - ٣٤]

فالبحث في هذه الطبيعة، التي خلقها الله وأحاطها بسخرية الإنسان

والنظر في سننها، والاكتشاف لأسرارها، عبادة لله، وقيام بالفريضة الإلهية التي كانت أولى فرائض الإسلام.. فريضة القراءة لآيات الله: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [العلق: ١-٥]

فالقراءة هنا قراءتان: قراءة لآيات الله الكونية والطبيعية - المودعة في الطبيعة، وقراءة لآيات الله المنزلة - أي قراءة في كتاب الله المنظور، وقراءة في كتاب الله المسطور.

بل إن القرآن قد جعل البحث والتجريب والاكتشاف لأسرار الله في الطبيعة والكون، بواسطة العلوم الطبيعية والتجريبية، في مقدمة الأسباب الداعمة للإيمان الديني، والمفضية إلى أن يكون علماء هذه العلوم الطبيعية هم الأكثر خشية لله - سبحانه وتعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود (٢٧) ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨]

على حين كان المشتغلون بهذه العلوم الطبيعية والتجريبية - بنظر الكنيسة الأوروبية - هم المارقين والملاحدة، الذين تركوا البحث في «المقدس» - اللاهوت - واشتغلوا بالتجريب في «المدنس» - الطبيعة» وعلومها - !!

لهذه الحقائق، التي ما برحت بين الإسلام وبين نصرانية الكنيسة الأوروبية، عاشت أوروبا المسيحية عشرة قرون مظلمة - بدأت بسقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية سنة ٤٧٦م الذي تزامن مع انتشار المسيحية في أوروبا، وامتدت حتى اكتشاف «كريستوفر كولومبس» [١٤٥١-١٥٠٦م] لأمريكا سنة ١٤٩٢م، وبدء الإصلاح الديني على يد «مارتن لوثر» [١٤٨٣-١٥٤٦م] في القرن السادس عشر الميلادي.

أما الإسلام، فإنه - لتميزه، ولتميز موقفه من الطبيعة - ولأنه دين ودولة وحضارة - قد سلك طريقا آخر.. اقترن فيه الإبداع في العلوم الطبيعية والتجريبية والمدنية بالإبداع في العلوم الشرعية، وكانت فيه الطبيعة وعلومها وآيات الإبداع فيها هي السبيل إلى معرفة الله وعظمته وقدرته، وهي السبيل إلى خشيته، بينما أدى العلو العلمي إلى

الذي جاء رد فعل لبعض الكتاب والمفكرين على صيحة أبي حامد الغزالي التي أطلقها في وجه الفلاسفة المسلمين، وهي صيحته المنكرة التي قال فيها: «القديمات ثلاثة»!!..

لقد رأى الإسلام من بعض هذه العلوم خطرًا على العقيدة، ومن بعضها الآخر على الشريعة، حتى لقد يكون الخطر في بعض العلوم على الشريعة أشد منه على العقيدة، لأنه يحوم حول الشريعة في العلوم التجريبية والتطبيقية، التي لا تقف في طريق الإسلام، بل في طريق كل مجتمع متحضر، وفي المشروع الفكري لكثير من علماء الإسلام. فلم يعرف علماء المسلمين للعلوم الشرعية وحدها، وإنما وجدنا تجسد هذه النظرة الإسلامية الجامعة بين عالم الغيب وعالم الشهادة، من قرأ ما كتبه المسلمون في كتب الوحي وقرأ ما كتبوه في سطور الكون وسنن النفس والآفاق. وقد تجسد هذه النظرة الجامعة في المشاريع الفكرية لكثير من علماء الإسلام، الذين جمعوا في ثقافتهم بين «الشرعي» و«المدني» في المعارف والعلوم، فكانوا «المحررين» و«المؤسس» و«الروحانيين ـ الماديين»؛ لأن الدين ـ في تصاريفهم ـ: وضع إلهي يسوق الإنسان لسعادة الله وتحرير الكون، ولإقامة دولته في هذا العالم الطبيعي، مستعينًا في ذلك كله بالاستخلاف بكتابي «الوحي» و«الوجود».

ومن هؤلاء العلماء، الذين نرحب في بدء كل عام بعلوم الإلهية والعلوم الطبيعية:

* أبو الوليد بن رشد [٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ/ ١١٢٦ ـ ١١٩٨م] الذي كان يسمى عند الغرب بـ«أفوه» في «أفوهة» كما يشيرون إلى فيلسوفهم في «القرن» فهو يلقب عندهم بـ«أفوهة الأصوليين» و«حكيم قرطبة» صاحب [كتاب الكليات] في الطب، و[بداية المجتهد ونهاية المقتصد] في الفقه، و[منهج الأدلة في عقائد الملة]، و[فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] في علم الكلام والتوحيد.

* وابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله [٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ/ ٩٨٠ ـ ١٠٣٧م] الذي كان «شيخ الرئيس» في «الشرعي» و«المدني» في «الإلهيات» و«الطبيعيات» في «التصوف» و«النبات والحيوان» و«الهيئة»... فمن آثاره في الطب [القانون] وفي الحكمة والإلهيات [الشفاء] و[النجاة] و[أسرار الحكمة المشرقية]... وفي التحرير والطبيعة [القانون وحيوان] و[النبات] و[أسباب حدوث الحروف] إلخ

* والبغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر [٤٢٩هـ ١٠٣٧م] الذي اشتهر بلقب فخر الدين. وله كتب كثيرة في أصول الدين والسيرة في الحساب وفي الهندسة حتى لقد قيل إنه كان يُدرّس في سبعة عشر فنًا! ومن آثاره [أصول الدين]، و[تفسير القرآن] و[معيار النظر]، و[التكملة في الحساب]، و[رسالة في الهندسة] ... إلخ.

* والخيام، أبو الفتح عمر بن إبراهيم [٥١٥هـ ١١٢١م] المعروف بالشاعر والفيلسوف والمؤرخ والرياضي والفلكي والمهندس والفقيه. نُعِتَت له من آثاره [مقالة في الجبر والمقابلة]، و[شرح ما أشكل من مصادرات إقليدس]، و[الاحتيال لمعرفة مقدار الذهب والفضة في جسم مركب منهما]، و[الرباعيات]، و[الخلق والتكليف] وغيرها من الآثار التي شهد بنوعها وتكاملها على هذا المذهب الإسلامي في تكامل مصادر معرفته وتكامل أدواته، وتكامل الإبداع فيها..

* والفخر الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر [٥٤٤ـ٦٠٦هـ ١١٥٠ـ ١٢١٠م] الذي كان الإمام في علوم الدين والدنيا جميعًا حتى لُقِّب بمؤلوه "بأنه كان أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل" ومن بين آثاره الكثيرة والجامعة لأقصى معرفة وتخصصاتها، نجد [مفاتيح الغيب] في تفسير القرآن الكريم و[معالم أصول الدين]، و[نهاية العقول في دراية الأصول]، و[لوامع البينات في شرح أسماء الله الحسنى والصفات]، و[الخلق والبعث] في التوحيد وأصول الدين و[المحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين]، و[الرسالة الكمالية في المعقول]، و[البيان والبرهان] في الرد على أهل الزيغ والطغيان]، و[أساس التقديس] في علم الكلام و[مباحث المشرقية] في الفلسفة و[السر المكتوم] في السحر و[السياسة] في الشئون الدنيوية و[النبوات] في النبوة والرسالة و[النفس] في علم النفس ـ كما أنه ألف في الهندسة [كتاب الهندسة] و[كتاب مصادرات إقليدس]... إلخ.

هكذا تكامل وترسخ وامتزج "الشرعي" و"الديني" "بالإلهي" و"الطبيعي" "الروحي" و"المادي" و"المنقول" و"المعقول" في الإبداع الإسلامي، دون تناقض، كذلك الذي رأيناه في أوروبا النصرانية..

ذلك أن الإسلام قد جاء ليعلم الإنسان أن مقاصد من خلق الله له هي أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات ٥٦]. لكنه

م يحصر العبادة في الشعائر وفي محاريب [illegible] بل جعل الأمن وصيانة كتب محرّفة ومنسوخة [illegible] وجعل الفقه جزءاً من علوم الدين وصلاح الدنيا بالمعرفة وعلوم تكوينه وتشريعه من أفضل العبادات [illegible] وسمّاه صناعة سمّاها "الدين" تفضيلاً للجزء "منه من"، وهي جزء لله [illegible] ولذلك يتوقف "صلاح الدين" على صلاحه، لأن معرفة [illegible] والأمن فيها شرط صحة العبادات وصلاح الدين. حتى لتكون خدمة الإسلام نوعاً من العبادة. الغزالي [٤٥٠ـ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨ـ ١١١١م] «إن نظام الدين لا يصلح إلا بصلاح الدنيا. فصلاح الدين بالمعرفة والعبادة، لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن، وبقاء الحياة، وسلامة قدر الحاجات من المأكولة، والمسكن، والأقوات، والأمن. فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية. فدل، إذن، أن نظام الدنيا شرط لنظام الدين.»

من هنا وجد علماء الفلسفة الإسلام وعلماء الإلهيات في حضارة الإسلامية من يرون في الاستغال بأبحاث علوم الطبيعة قربة إلى الله سبحانه وتعالى وعبادة من أفضل العبادات. فالعلم الطبيعي، وتدبر حقائق الكون وسننه وقوانينه، وكشاف أسرار الإبداع الإلهي فيه، هو تسجيل معرفة الله، التي هي جوهر الدين، وتأكيد وجوده [illegible] فتعلمه هو تسجيل في حقيقته لإيمان بربه، وهو تحقيق جوهر الشعائر والعبادات ومقاصدها وثمراتها. [illegible] الغزالي [١٦٣ـ ٢٥٥هـ/ ٧٨٠ـ ٨٦٩م] عن هذا العلم بقوله «الذي تتفرغ بتعلمه فيه الشيوخ جلّة، والكهول العلية، حتى ليختارون النظر فيه على التسبيح والتهليل، وقراءة القرآن، وطول الانتصاب في الصلاة، حتى ليزعم أهله أنه فوق الحج والجهاد، وفوق كل بر واجتهاد»[٩]

فالطبيعة ليست مدنسة، بل هي محتوى تسبيح الكون [illegible] ومضمون في الشرف هو علم الخليفة الذي بتدوينه لا يعرف الإنسان ألوهية ولا توحيد [illegible] فجمع بين علوم وبين الإلهيات خصيصة من خصائص الفلسفة الإسلامية، وثمرة من ثمرات التمكن من الصناعة والبراعة في علم الإسلامي [illegible] وليس يكون المتكلم جامعاً لأقطار الكلام، متمكناً من الصناعة، يصلح للرياسة، حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة. والعالم عندنا هو الذي

يجمعهما، والمصيب هو الذي يجمع تحقيق «التوحيد» وإعطاء «الطبائع» حقها من الأعمال. ومن زعم أن «التوحيد» لا يصلح إلا بإبطال حقائق «الطبائع»، فقد حمل عجزه على الكلام في «التوحيد»، وكذلك إذا زعم أن «الطبائع» لا تصح إذا قرنها «بالتوحيد». ومن قال هذا فقد حمل عجزه على الكلام في «الطبائع». وإنما ييأس منك الملحد إذا لم يدعك التوفر على «التوحيد» إلى بخس حقوق «الطبائع»؛ لأن في رفع «أعمالها» رفع «أعيانها»، وإذا كانت «الأعيان» هي الدالة على الله، فرفعت «الدليل»، فقد أبطلت «المدلول عليه». ولعمري! إن في الجمع بينهما لبعض الشدة.. وأنا أعوذ بالله تعالى أن أكون كلما عمز قناتي باب من الكلام صعب المدخل، نقصت ركنًا من أركان مقالتي. ومن كان كذلك لم ينتفع به!»[١٠]

فأعيان الطبيعة هي الدليل إلى الألوهية والتوحيد، والتخريب هو السبيل إلى ذلك. بينما اختبار الطبيعة، والانصراف عن علومها التجريبية، هو المعطل للدليل على معرفة الله وما له من صفات الكمال والتنزيه.

* * *

ـ ٥ ـ

العقلانية الإسلامية

والإسلام لم يعرف التناقض بين «العقل» و«النقل» [illegible] فالنقل فيه ـ القرآن الكريم ـ معجزة عقلية «عُرضت على العقل، وعرفته القاصي فيها، وأطلقت له حق النظر في أنحائها، ونشر ما انطوى في أثنائها..»[illegible] والآيات التي تتحدث عن العقل ومقامه، وعن اللب وتعقله، وعن الحكمة، واللُّب، والنهي، والفقه، والاعتبار، والتفكر، والتدبر في القرآن الكريم تقترب من ثلاثمائة آية.

فالنقل ـ في الإسلام ـ معجزة عقلية [illegible] والعمل في هذا الإسلام هو سبيل فيه النقل، فهو الأساس للدين، ولا بناء بدون أساس [illegible] وبعبارة الماوردي [٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ ٩٤٥ ـ ١٠٥٥م] «فإن السبب المؤدي إلى معرفة الأصول الشرعية والعمل بها هو علم الحس، وهو العقل، لأن حجج العقل أصل لمعرفة الأصول، إذ لا تُعرف الأصول إلا بحجج العقول..»[١٢].

وإذا كان النقل والشرع كالضياء والنور، فإن العقل كالبصر، وبدون العقل يصبح الناس عمياناً أو معمضي الأجفان لا يستفيدون من ضياء الشرع ونور النقل [illegible] وبعبارة حجة الإسلام الغزالي «فإن مثال العقل: البصر السليم عن الآفات والأذاء، ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء.. فالمعرض عن العقل، مكتفياً بنور القرآن، مثاله: المتعرض لنور الشمس معمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان.. فالعقل مع الشرع نور على نور»[١٣].

فالإسلام، ليس الكهنوت الكسي الذي ناصب العقل ـ مع الطبيعة ـ الاحتقار والازدراء [illegible] حتى لقد قال القديس الفيلسوف «أنسلم» [١٠٣٣ ـ ١١٠٩م] «يجب

أن تعتقد أولا بما يعرض على قلبك، بدون نظر، ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت، فليس الإيمان في حاجة إلى نظر عقل[14]»!

الإسلام ليس هذا اللاهوت الكنسي، وإنما هو الدين الذي قال بعض فلاسفته ـ ومنهم أبو علي الجبائي [٢٣٥ ـ ٣٠٤هـ ٨٤٩ ـ ٩١٦م] ـ انطلاقاً من أوامر القرآن الكريم بالنظر ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ [الأعراف ١٨٥]، ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ [يونس ١٠١]، ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ [العنكبوت ٢٠] ـ قال كثير من فلاسفة الإسلام انطلاقاً من هذا الأمر القرآني بالنظر، أي التأمل والتدبر والتفكر والاعتبار: «إن الواجب الأول على الإنسان هو النظر»؛ لأن النظر هو السبيل إلى معرفة الله[15]

* * *

ـ ٦ ـ

الإبداع الحضارى المبكر.. لماذا؟؟

لهذه الحقائق، التى ميّزت الإسلام عن عصره ـ فى لاهوته كنسق أقام الإسلام ـ فى أرض الواقع مدنية وحضارة وإبداعًا فى العلوم بصنعه، مع إقامة بسالة الصلوات فى المساجد والمحاريب. ولم يقف هذا الإبداع مبكرًا ـ منذ القرن الهجرى الأول فى هذه الميادين، على حين تأخر إبداع الغرب المسيحى فى العلوم لصنعة عشرة قرون. وإذا تميز الإسلام ـ فى هذا المجال ـ بخصّ بوقفته المدنية والحضارية والإبداع فى العلوم الصنعية، بانطلاق من الدين، وبتحفيز الدين، وبخصائص مقاصد الدين، وبروحه وقيمه وعقيدته، بل بهذا الدين. وليس كما حدث فى الغرب على نقيض الدين، وبعد تعسفه، التى مثلت ثورة على الدين، وفى صلب حداثته التى مثلت «دين العلم»، «الدين الطبيعى» بدى حل محل الدين الإلهى!

لهذه الحقائق، بدأ الإحياء الإسلامى المعاصر يبحث عن مواريث العلوم الصنعية والكونية ـ فى حضارات الصنعة. وبدأ تمثل الإسلام لهذه المواريث و«بدأ الإنتاج الفكرى العلمى فى الإسلام منذ القرن الأول للهجرة» أى منذ اللحظة التى بدأ فيها تكوين المجتمع الإسلامى فى منتصف القرن الهجرى الأول. فهذا المجتمع قد «تكوّن من بيئات شتى، وثقافات مختلفة، وألسنة متباينة، فأصبح ـ فى الواقع ـ مقرًا لاتصال أصحاب المدارس العديدة، وتلاقح أفكارهم، بعد أن كانت قبله مفصولة بعضها عن بعض، وكان تأثرها ببعضها غائبًا تقريبًا»[٦]

ومن الشهادات التى شهدت بعبقرية الأمة، على ما عند الإبداع المبكر فى العلوم المدنية والطبيعية إذ كان ثمرة من ثمرات الدين الإسلامى، شهادة المعلم الخبير فى تاريخ العلم الدكتور فؤاد سزكين، التى يقول فيها: «إن هناك دافعًا خطيرًا أسهم إلى

حد كبير في محاولة المسلمين أخذ ما لدى غيرهم من الأمم من علوم ومعارف دون عوائق. وهذا الدافع يتضح مما أوجزه «فرانس روزنثال» في كتابه [استمرار علوم الإغريق القدماء في الإسلام] حيث قال: «ليس يكفي الدافع الديني، العملي، أو النظري ليعلل لنا ظاهرة العملية الواسعة لترجمة الكتب الأجنبية، بل لا بد من فهم موقف الدين الإسلامي ذاته من العلم. وموقفه هذا كان محركا كبيرا لا للحياة الدينية فحسب، بل للحياة الإنسانية في جميع جوانبها. وموقف الإسلام هذا هو الدافع الأكبر في السعي وراء العلوم، وفي فتح الأبواب للوصول إلى المعارف الإنسانية، ولولاه لانحصرت الترجمة في أشياء ضرورية للحياة العملية وحدها»[17].

فموقف الإسلام من العلم، كان العامل المؤثر في التعامل المبكر والإبداع المتكرر للمسلمين في ميادين العلوم الطبيعية والتكنولوجية والحضارية.

***

[illegible] [illegible] [illegible] [

وقد اصطحب المترجمة بعلوم الصنعة . علوم الصنعة واحياء تراث مدرسة الإسكندرية في هذه العلوم «الصنعة الإسلامية كما يتفرع بها كونه من المترجمين والعلماء الذين هجروا الأوطان وكتب الأمير الأموي خالد بن يزيد» [٩٠هـ ٧٠٨م] على رأس العلماء المشتغلين في هذا الاتجاه والمشتغل بالابداع العلمي = كما يقول صاحب [الفهرست] «فإن خالد بن يزيد كان يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه، خطيباً شاعراً، فصيحاً حازماً، جواداً ذا رأي، وله همة ومحبة في العلوم. . ولقد خطر بباله نقل علوم الصنعة إلى العربية، فأحضر جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تفصّح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي. وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة . كما نقل له «اصطفن القديم» [الإسكندري] كتب الصنعة وغيرها. .»[١٩].

وخالد بن يزيد هذا ـ كما يضيف صاحب [الفهرست] ـ «هو أول من ترجمت له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء . ويقال إنه قيل له:

ـ لقد فعلت أكثر شغلك في طب الصنعة ـ [أي تخصصت وتفرغت لهذه العلوم] ـ فقال:

ـ ما أطلب بذلك إلا أن أغني أصحابي وإخواني وأن أريد أن أبلغ آخر هذه الصناعة، فلا أحوج أحداً عرفني يوماً أو عرفته إلى أن يقف ببابٍ سلطانٍ رغبة أو رهبة!

ويقال ـ والله أعلم ـ إنه قد صح له عمل الصناعة، وله في ذلك عدة كتب ورسائل، وله شعر كثير في هذا المعنى رأيت منه خمسمائة ورقة، ورأيت في كتبه [كتاب الحرارات] و[كتاب الصحيفة الكبير] و[كتاب الصحيفة الصغير] وكتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة»[٢٠].

فنحن هنا أمام واحد من كثير من المترجمين بعلوم الصنعة ـ علوم الصنعة ـ في العربية . نحن هنا أمام عالم بتقنيات عربية وإسلامية لهذه العلوم . ونعثر له «ابن النديم» في خالد بن يزيد «قد صح له عمل الصناعة» ومشروع تعلمي هذا كان يزيد به حتى دون له المعلم و«العلماء» ويرى إلى ما تنطوي عليه هذه الصنعة

وأخذه ... فهو بعد أن دهشت عنه خلافة، ... أن يعني بعلماء ـ ومن ثم الأمة ـ عن الوقوف ببابه السلطان، رغبة أو رهبة»[1].

فمنذ بقرن الهجري الأول، تحتفظ في حضارة الإسلامية والاحتضان الإسلامي بوجه الخصوص علماء»، التي بعضهم ركنها من موقف تأثير الأمراء[2].

ويحرص هذا المؤرخ على إبداء رأي كتبه صاحب [الفهرست] ... بن وأم ضياع شعريه ومنصوبات ذات حقائق وقوس هذه العلوم بضعة ـ على عادة العرب في تركيز الفنون والعلوم ـ رأى منه ابن النديم خمسمائة ورقة خالد بن يزيد وحده[3].

ويدعم هذه الحقيقة ـ حقيقة تطبيقات الإسلامية المبكرة للعلوم الطبيعية ـ قول «ابن عساكر» [٤٩٩هـ ١١٠٥م] عن خالد بن يزيد: «إنه قد مارس مجارب تحنية فيه البحر ... ونحو ذلك، ونحو ذلك في هذه الأصحاب: **«إن شئتم أعذبُ لكم ماء البحر؟ فأتى بقلال من ماء ... ثم وصف كيف يصنع به حتى تعذب»**[4].

وخالد بن يزيد هذا هو الذي قال فيه خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز [٦١ ـ ١٠١هـ ٦٨ ـ ٧٢٠م] تقديراً لمكانته العلم الذي أشرف على ترجمته وتأليفه والإنفاق فيه ـ **«ما ولدت أمية مثل خالد بن يزيد، لا أستثني من ذلك عثمان ولا غيره»**[5] ... تقدمه على عثمان بن عفان [٤٧ق هـ ٣٥هـ ٥٧٧ ـ ٦٥٦م] ـ عليهم جميعاً رضوان الله

ولعل هذه الكلمة أن تلفت الأنظار إلى البعد العلمي والبعد العام لعلم الطبيعي في عقل وفكر وتوجه عمر الراشد خامس عمر بن عبد العزيز وهو البعد الذي يلتقي به أحد عقد وقف ... سوء عبد العزيز ووجيه نسبه وتدوينه لها، ومتابعته لتنفيذه ومحاربته يده ... وعدم ثورته لإصلاحه التي رد بها مظالم إلى أهلها ... وعدم إحاطته بشورى ... وقضية سلام العام في مجتمع ... على الرغم من بعض أنه لم يكن «من دولة»[6] ... لكن مصر ... تاريخ العلم الطبيعي في حضارة الإسلامية ـ تكشف عن إنجاز عمر الراشد خامس ـ عمر بن عبد العزيز في المغرب الهجري الأول ـ في هذا المجال ... ففي عهده عم تدريس الطب «بعد أن كان بالإسكندرية». ويقول ابن أبي أصيبعة [٥٩٦ ـ ٦٦٨هـ ١٢٠٠ ـ ١٢٧٢م] في [عيون الأنباء في طبقات الأطباء] عن ابن أنجر الكناني: «كان طبيباً عالماً ماهراً، وكان في أول أمره مقيماً في

الإسكندرية؛ لأنه كان المتولي في التدريس بها من بعد الإسكندرانيين. وذلك عندما كانت البلاد في ذلك الوقت للملوك النصارى - [الرومان] - ثم إن المسلمين لما استولوا على البلاد وملكوا الإسكندرية، أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز - وكان حينئذ أميرًا قبل أن تصل إليه الخلافة - وصَحِبَهُ. فلما أفضت الخلافة إلى عمر سنة تسع وتسعين للهجرة، نقل التدريس إلى أنطاكية وحران، وتفرق في البلاد. وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أبجر، ويعتمد عليه في صناعة الطب»[٢٥٠]

فعمر بن عبد العزيز - في مقتبل الهجرة الأولى - هو الذي نظم تدريس الطب في جوامع الدولة الإسلامية، بعد أن كان وقفًا على الإسكندرية.

وقد ساعد هذا عمر بن عبد العزيز نهضة الطب في عهده وخلافته. وفي هذه الحقيقة يشير صاحب [طبقات الأطباء والحكماء] فيقول: «إن أول كتاب في الطب ترجم إلى العربية هو [كناش] القس «أهرن بن أعين» - من أهل الإسكندرية - وهو في ثلاثين مقالة «وجده عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب، فأمر بإخراجه، ووضعه في مصلاه، فاستخار الله في إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به، فلم يتم له في ذلك أربعون صباحًا أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم». وكان مترجمه هو «ماسرجويه» المطيب البصري - وكان يهوديًا سريانيًا.[٢٥١]

هكذا كانت المحاريب، وكانت مستخدمة لله سبحانه وتعالى. فطريق الله في سكنه حضارة الإسلام لإحياء علوم الطب وتعميمها بين الناس. بعد أن كانت موروثة تحت علوم حبيسة مصدودة عنها بعدة قرون، بسبب تكهنات ورقى العرّافين بين هذه العلوم ولاهوت المحاريب!

* * *

وفي هذه المرحلة المبكرة، أصبحت مترجمة صناعة كبرى، فتحت لها قدم العلم المسلم والحضارة الإسلامية على كل ما يمت بعلوم في محتلف حضارات التي سبقت ظهور الإسلام - حتى يذكر ابن النديم - في [الفهرست] - أسماء أكثر من سبعين من المترجمة عن اليونانية والسريانية والفارسية والهندية إلى العربية[٢٥٢] وهي كل لغات العلم المعنى في ذلك التاريخ - ومن مدح هؤلاء المترجمين

«يوحنا بن ماسويه» [١٩٠ ـ ٢٦٠هـ ٨٠٩ ـ ٨٧٣م] لقي عنده من [رشيد] [١٤٩ ـ ١٩٣هـ ٧٦٦ ـ ٨٠٩م] ترجمة الكتب القديمة (عصية) التي وجدت بعمورية وعمورية بسائر بلاد الروم ووضعه أمناً على ترجمته، ووضع له كُتُبًا حذق يكتبون بين يديه وخدم رشيد والأمين [١٧٠ ـ ١٩٨هـ ٧٨٧ ـ ٨١٣م] والمأمون [١٧٠ ـ ٢٠٨هـ ٧٨٦ ـ ٨٣٣م] وبقي على ذلك بقي من الموكل [٢٠٦ ـ ٢٤١هـ ٨٢١ ـ ٨٦١م]. [٢٧].

ـ «يوحنا بن مصرويه» الذي نرى من ترجمته على عهد المأمون [ترجمة] كتب من كتب الأوائل [وترجمة] كتاب أرسطوطاليس [٣٨٤ ـ ٣٢٢ق م] في الأسكندرية [٣٥٦١ ٣٢٤ق م]. لغزه في سير الأسرار، وهو كتاب السياسة في تدبير الرئاسة من [عند] [يونان] في لسان يوناني، ثم من [عند] يوناني في لسان العربي وبقدر على في حسب أصل هذا الكتاب «فقصد بهذا الكتاب [بعده] في البحث عنه، حتى وصل إلى عسكر عبد الشمس، وهو كتاب «طرمس الأكبر» لنفسه يحتوي على ما فيه من قصرت فيه شمسك متعبد مترهب، ذي علم بارع، وفهم ثاقب، فتنطقت به، وأعجبت جملة جمله، حتى أودع في مصحف [كتاب] عسكر مودعة فيه، فوجدت في جملتها المطلوب الذي بحوه قصدت وبه انتفعت [أذن] في أمير المؤمنين ـ [المأمون] بطلبه مكتوبًا باللغة، فرجعت إلى الخصرة المنصورة فترجمته [٢٨].

ـ «وحنين بن إسحاق» [١٩٤ ـ ٢٦٠هـ ٨١٠ ـ ٨٧٣م] ـ يسميه يوحنا بن ماسويه كان عالمًا بلسان العرب، فصيحًا بلسان اليونانية حدث بعلمه بالإسكندرية ـ برع في اللسانين بلاغة بلغ بها تمييز علل القياس

ومما يشهد على نشاط علمي في هذه العلوم بصفحة قسطنطين في اللحظات التي اصطهد فيها التيار العقلاني. اعتبره أن [حنين بن إسحاق] قد اختير للترجمة، واتتمن عليها. ووضع المتوكل له كتب تحرير ترجمة [ذو] ترجمول ويتضح حسن ترجمته [هو الذي] وضح في عهد المتوكل معاني كتب «بقراط» [٤٦٠ ٣٧١ق م] و«جالينوس» [٣١٠ ٢٠٠ق م] وخصها [حسن] تلخيص، وكشف ما تعلق بها، ووضح مشكلها [وعمد إلى كتاب «جالينوس» فرجمه في] [هذه] الإسكندرية، فصعبها على سبيل [تسديد]، فجاء [حنين] في

الثالث ... وله كتاب جامع عظيم، لم يسبق إلى مثله عصره، جمع فيه مصنفه، وسماه [٢٩] ... فسمى [ال]شاطبي العلوم التسعة حتى في عهد سيدنا محمد ﷺ، الذي اصطفاه المعتزلة والمتكلمين!

ثم جاء الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي [٨٥ ـ ٢٦٠هـ/ ٧٩٦ ـ ٨٧٣م] فكان كما عملاً، نصب نفسه وفلسفته، حكماً على ما يجوز وما لا يجوز، وصار لا يعد ولا يحصى ما ترجم من كتب فلسفية كثيرة، وصح منها وما كذب، وخص المستضعف، وبسط التعريض ... ووقف في موضوعات على طريق أصحاب المنطق في سلوك مرتقب البرهان لم يسبقه إلى مثله أحد ... كتاب في ثابت بن ... [٣] ... شرح ... وعلى ... حتى في ... السهمي» [٤٩٩ ـ ٥٦٥هـ/ ١١٠٦ ـ ١١٧٠م] عن فلسفة الكندي ... جمع في بعض تصانيفه بين أصول الشرع وأصول المعقولات.

ولقد وجد الكندي في ... «المعتصم بالله» [٧٩١ ـ ٨٤٢هـ/ ١٩٥ ـ ٢٢٧م] منهج حضارة الإسلام في الانفتاح على حضارات العالم، فـ[ـ]. وينبغي أن لا نستحي من الحق وفتشه حق من أين أتى، وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة لنا، فإنه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق، وليس يسعى بالحق ولا التصغير بقائله، ولا بالآتي به، ولا أحد يحط بالحق، بل كل يشرفه الحق ... ومن أوجب الحق أن لا يذم من كان أحد أسباب منافعنا بالصغار النهرية، فكيف بالذين هم أكثر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الحدية، فإنهم وإن قصروا عن بعض الحق، فقد كانوا لنا أسساً وشركاء فيما أفادوه من ثمار فكرهم، التي صارت لنا سبيلاً وآلات مؤدية إلى علم كثير قد قصروا عن نيل حقيقته، ولا سيما إذ هو بيّن عندنا وعند المبرزين من المتفلسفين قبلنا من غير أهل لساننا.

إنه لم ينل الحق ـ بما يستأهل الحق ـ أحد من الناس بجهد طلبه، ولا أحاط به جميعه، بل كل واحد منهم إذا نال منه شيئاً، وإنما نال منه شيئاً يسيراً بالإضافة إلى ما يستأهل الحق، فإذا جمع يسير ما نال كل واحد من النائلين الحق منهم، اجتمع من ذلك شيء له قدر جليل، فينبغي أن يعصم شكرنا للآتين بيسير الحق، فضلاً عمن أتى بكثير من الحق، إذ أشركونا في ثمار فكرهم، وسهّلوا لنا المطالب الخفية، التي أفادونا من

المقدمات المسهلة لنا سبل الحق، فإنهم لو لم يكونوا، لم يجتمع لنا مع شدة البحث في مددنا كلها هذه الأوائل الحقّية، التي بها تخرج إلى الأواخر من مطلوباتنا الخفية، فإن ذلك إنما اجتمع في الأعصار المتقدمة عصراً بعد عصر إلى زماننا هذا، مع شدة البحث ولزوم الدأب وإيثار التعب في ذلك»[٣١]

[illegible] منهج [illegible] في تاريخ العلم الإسلامي، تفتخر [illegible] العلوم الإسلامية على مر العصور بتكريمه والاهتمام به في كل المجتمعات [illegible] منهج عند أبي الوليد بن رشد، الذي قال: «إنه يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك.. سواء أكان مشاركًا لك في الملة أو غير مشارك في الملة فبقدر فيما قالوه من ذلك، فإن كان صواباً قبلناه منهم، وإن كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه..»[٣٢]

وحتى حسن [illegible] المعروف بالحسن [٢٥٤ ٣٤٤ هـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩١م] يقول في: «إن أب العلم وأمه هو الدليل.. والحقيقة تلتمس حيث يوجد الدليل»

ومن قبل هؤلاء جميعاً حديث رسول الله ﷺ: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها» رواه الترمذي وابن ماجة

***

ومن الذين برعوا في العلوم الطبيعية والرياضية بنو شاكر: محمد بن موسى بن شاكر [٢٥٩هـ ٨٧٣م] وأحمد بن موسى بن شاكر [كان حيّاً قبل ٢٥٩ هـ ٨٧٣م] والحسن بن موسى بن شاكر [٢٠٠هـ ٨١٥م] وهم مثلوا نموذجاً متفوقاً «لأكاديمية» لأهليه في المجتمع الإسلامي فأخرجت كثيراً في الرياضيات وعلم الهيئة والحيل والنجوم والفلسفة والموسيقى. وأقاموا للذلك مجمعاً يترجمون فيه كتباً [illegible] حتى يكون صاحب [illegible] «إنهم قد بذلوا الرغائب، وأنفذوا حنين بن إسحاق وغيره إلى بلاد الروم فجاءوهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرثماطيقى والطب». وأقاموا نظاماً «متفرغاً» للترجمة والتأليف وكانوا «يرزقون حنين بن إسحاق، وحبيش بن الحسن، وثابت بن قرة [٢٢٠ ٢٨٧هـ ٨٣٥ ـ ٩٠٠م] وغيرهم في الشهر خمسمائة دينار»[٣٣]

***

وغير هذا الموقف الإسلامي المتميز من الطبيعة والتجريب والعلوم الطبيعية وثمرات هذا الموقف في التمثل المبكر والإبداع المبكر في ميادين هذه العلوم وتطبيقاتها. يشير مؤرخ العلوم الإسلامية الدكتور فؤاد سيركين إلى لون آخر من التميز الإسلامي في هذا الميدان، وهو النظرة الإسلامية إلى أصحاب تلك المواريث العلمية القديمة. وكيف تميزت هذه النظرة الإسلامية عن نظرة اللاتين عندما نقلوا العلوم عن الآخرين. يشير الدكتور فؤاد سيركين إلى ذلك، فيقول: «إن عملية الأخذ والتمثل قد تمت لدى اللاتين على غير الصورة التي تمت بها عند العرب؛ ذلك أن المسلمين اهتدوا إليها بوساطة الذين اعتنقوا الدين الإسلامي، وبواسطة مواطنيهم أصحاب المعارف الأجنبية. أما عند اللاتين فكانت على صورة أخرى.. لقد كانوا - أعني اللاتين - مضطرين إلى أخذ المعارف، وإلى أخذ أنظمة المؤسسات المختلفة، وإلى أخذ أساليب الجامعات وبرامجها من الأعداء السياسيين والدينيين. لقد كانوا يشعرون بشعور المعاداة والبغضاء تجاه من يأخذون عنهم، وانعكس ذلك على عملية الأخذ بصورة عقد نفسية، وطبيعي بعد هذا أن يفقدوا عنصري الوضوح والصراحة، وهما العنصران الأصليان في عملية أخذ المسلمين عن الآخرين»[٣٤].

نعم، لقد كان اللاتين - إبان نهضتهم - يأخذون عن من يعتبرونهم «أعداء هراطقة» وعن من يعتبرونهم دونهم في سلم الإنسانية. وبذلك افتقر نقلهم - كما يقول الدكتور سيركين - إلى الوضوح والصراحة، فلم يذكروا المصادر ولا الأسماء التي نقلوا عنها في الأغلب الأعم، فكان نقلاً أقرب ما يكون إلى «السرقة»! [illegible] كان النقل الإسلامي واضحًا صريحًا موثقًا. فهم يقومون بواجب ديني، هو الإحياء لمواريث الإنسانية، وينهضون بفريضة إلهية هي النظر في آثار الأمم والشعوب والقراءة لآيات الله المبثوثة في الأنفس والآفاق، والتي نظر فيها الأولون، الذين ينقل عنهم المسلمون. وذلك فضلاً عن أن هذا النقل إنما كان يتم من مراكز علمية وحضارية كانت جزءًا من دار الإسلام، ويقوم به مسلمون أو أهل الكتاب، هم جميعًا أمة واحدة تعيش في دار الإسلام.

لقد أحيا المسلمون العلوم التي قبرتها النصرانية لعدة قرون!

وأشركوا في هذا الإحياء العلمي - المزاحمة غير المسلمين، الذين جانب عقائدهم الدينية بينهم وبين الاشتغال بالعلم لعدة قرون.

كل ذلك يفصل الموقف الإسلامي المتميز من الطبيعة، والعلم الطبيعي، والحقيقة العلمية بوجه عام!

* * *

وبعد مرحلة النقل والتمثل لمواريث الحضارات القديمة في العلوم والمعارف، وبعد تواكب التطبيقات الإسلامية لحقائق وقوانين هذه العلوم، جاءت مرحلة النضج للعقل العلمي الإسلامي، والتي تجلت في المراجعة والاختبار والتجريب لكثير من نظريات تلك العلوم، ومن ثم النقد والتصحيح والتطوير لكثير منها، ثم الإضافات الإبداعية في ميادينها. كل ذلك يفصل براعة المسلمين في التجريب، وإبداعهم للمنهج التجريبي الذي جاء ثمرة لموقف الإسلام من الطبيعة ومن العمل والتجريب في أبحاثها.

ويتحدث الدكتور فؤاد سيزكين عن هذه المرحلة من مراحل العلم الإسلامي، فيقول: «ولسنا نخالف الحقائق التاريخية إذا اعتبرنا أن مرحلة «الأخذ والتمثل» تنتهي في أواسط القرن الثالث الهجري إلى مرحلة الإبداع، وذلك بإدراك العلماء المسلمين بأنفسهم أنهم قادرون على الإبداع، وهم قادرون بالتالي على أن يصلوا إلى ما لم يصل إليه الإغريق من قبلهم.

فالإخوة الثلاثة المشهورون ببني موسى، والذين كانوا يقومون بعمل مشترك في دراستهم لأرخميدس [٢٨٧ - ٢١٢ق.م] وأبلونيوس [٢٦٠ - ٢٠٠ق.م] كانوا يحاولون الوصول إلى تحديد الرقم اليوناني أدق مما وصل إليه القدماء، وإلى حد جديد مسألة تقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية، وقد كانوا يصححون ما وقع لأبولونيوس في كتابه [المخروطات] على رأيهم..

كذلك نذكر في ميدان الرياضيات أن الماهاني [كان حيا قبل ٢٦٠هـ ٨٧٤م] حاول في أواسط القرن الثالث من الهجرة أن يجد الحل العددي لمعادلة من الدرجة الثالثة.

وفي ميدان الطب والبصريات كان الرازي [٢٥١ - ٣١١هـ ٨٦٥ - ٩٢٣م] يرد على إقليدس وجالينوس قولهما في كون رؤية الأشياء تتكون بخروج الرؤية من العين إلى

الأشياء، ويصرح الرازي بأن الرؤية تحدث بوصول الضياء من المادة إلى العين، كما يرى أن حدقة العين تتغير كبراً وصغراً بمقدار قوة الضياء الذي يدخل فيها.

ونرى مثلاً أن الكندي ينصرف عن معظم ما توصل إليه أرسطوطاليس والعلماء اليونانيون الآخرون في ميدان الآثار العلوية (ميتيورولوجيا) ويأتي بآراء خطيرة لا يختلف بعضها عن النتائج الحديثة»[٣٤].

ويقول «الأردغير» عن كتاب عبد الرحمن الصوفي [٢٩٠ـ٣٧٦هـ/٩٠٣ـ٩٨٦م] [كتاب الكواكب الثابتة] «إنه أصح من كتاب «بطليموس» [٩٠ـ١٦٨م] وترجمته أصح وأصح وأتم من كتب المتقدمين». وأكثر الأقدار التي أوردها الصوفي مثل أقدارها المعتمد عليها الآن في «زيج حبش» و«زيج السنجاري» [١٨٦٦ـ١٩٤٩م]. وفي كتاب الصوفي هذا [كتاب الكواكب الثابتة] صور الأبراج والصور السماوية في هيئة أرضية ملونة.

وابن يونس [٣٥٠هـ/٩٢٩م] [زيج الصابي] الذي يقال إنه أصح من زيج بطليموس. وابن يونس كتب الكواكب [كتاب في تقدم الاعتدالين في مقدار السنة الشمسية] وللأمير نوح بن منصور الساماني [٣٦٥ـ٣٨٧هـ/٩٧٦ـ٩٩٧م] [رسالة في حل شبهة عرضت في شكل عاشر من كتاب الأصول][٣٥] ومحمد بن محمد بن كوره [كتاب الشكوك والمناقضات التي في كتاب جالينوس]. هذه الكتب تحتوي على مناقشة الكيميائية التي ألف فيها أربع عشرة مقالة.[٣٦] وتلميذه أبو الخير[٣٧]

وابن الصلاح [توفي بعد سنة ٤٤٠هـ] [كتاب المقالات الست] الذي يعتقد فيه عدد من المؤرخين أنه منهم أرسطو في مقالاته الثلاثة من [كتاب الحيوان] ومقالة ثالثة عن كتاب [السماء والعالم].

«المسؤل بن يحيى بن عباس المعربي [٥٧٠هـ/١١٧٥م] [كتاب الجوهر] ومن مؤلفاته «التعليق على رغم «فشاغورس» [المعرب لسدس فيثاغورس] أنه أدرك بطريق نوحي»[٣٨]

كما كتب ابن باجة [٥٣٣هـ/١١٣٩م] ملاحظات قيمة على بعض مقالات المجسطي في الفلك، وقد ناقش فيها بعض مواضع المجسطي فيه. وكذلك صنع ابن طفيل [٤٩٤ـ٥٨١هـ/١١٠٠ـ١١٨٥م] في نقد بطليموس أيضاً.

وقد تتبع نصير الدين الطوسي [٥٩٧ ـ ٦٧٢هـ ١٢٠١ ـ ١٢٧٤م] نقص هندسي [تفرد الشك في م] في قضية المتوازيات كما سبقه في كتابه [تذكرة في علم الهيئة] [كتاب المجسطي] و قترح بديلاً جديداً أكثر أبسط من المصادرة التي وضعه بطليموس ويعترف مؤرخ العلم «سارطون» [١٨٨٤ ـ ١٩٥٦م] بأن لابد لدى وضعه الطوسي للمجسطي بدل على عبقريته وطول باعه في الهندسة ويمكن القول إن انتقاد الطوسي هذا كان خطوة تمهيدية للإصلاحات التي قام بها «كوبرنيكس» [١٤٧٣ ـ ١٥٤٣م]

ومن مؤلفات ابن الهيثم [٣٥٤ ـ ٤٣٠هـ ٩٦٥ ـ ١٠٣٩م] [كتاب حل شكوك أقليدس].

ومن مؤلفات الخيام [٥١٥هـ ـ ٥٢١هـ ١١٢١م] كتاب [شرح ما يشكل من مصادرات أقليدس] و[مقالة في الشكوك على بطليموس].

ومن مؤلفات نصير الدين الطوسي [٦٠٠هـ ـ ٩١٢هـ] [كتاب شكوك كتاب أقليدس]

ومن مؤلفات العباس بن سعيد الجوهري [صار حوالي سنة ٨٣٠م] كتاب الأشكال التي رددها في المقالة الأولى من أقليدس]

ولعل آخرهم أمير سمرقند «أولغ بك بن شاه رخ بن تيمور [٧٩٦ ـ ٨٥٣هـ ١٣٩٣ ـ ١٤٤٩م] رصداً صححت بعض الأرصاد التي قام بها اليونان، وذلك عندما رأى أن حساب بطليموس لحوادث الخسوف والأرصاد لا يتفق مع قراءة بطليموس [٣٦]

وهكذا بعد نصير الدين الطوسي قام العلماء المسلمون بتجويد عملية التصحيح والمراجعة والنقد والشكوك وتصحيح أخطاء الأوائل ثم بدأت إضافات والتطوير بعد الإبداع في المراجعة والتصحيح

ولعل أبرز ما في الأمة العلمية، والعبقرية الإبداعية القديمة، حتى أثناء مراجعتها وتنقيحها، وتصحيح أخطاء من سبقها في هذه الأمة وهذه العبقرية الإسلامية، التي جعلت العلم والخبرة "جعلت" من الإنسان

ذلك، ونحن نقرأ كلمات الخيام في كتابه [مقالة في الشكوك على بطليموس] والتي يقول فيها: «إن الحق مطلوب لذاته، وكل مطلوب لذاته فليس يعني طالبه غير وجوده، ووجود الحق صعب، والطريق إليه وعر... ولما نظرنا في كتب الرجل المشهور بالفضيلة... أعني «بطليموس القلودي»، وجدنا فيها علومًا كثيرة، ولما خصمناها وميزناها... وجدنا فيها مواضع شبهة وألفاظًا بشعة ومعاني متناقضة... إلا أنها يسيرة في جنب ما أصاب فيه من المعاني الصحيحة. ورأينا أن في الإمساك عنها هضمًا للحق وتعديًا عليه... ووجدنا أن أولى الأمور ذكر هذه المواضع وإظهارها، ثم نجتهد بعد ذلك في سد خللها وتصحيح معانيها، ولسنا نذكر في هذه المقالة جميع الشكوك التي في كتبه..»[٣٧].

إنها حضارة العدل والحق، التي صنعت مناهج هؤلاء العلماء العظماء!

* * *

وإذا كان الإسلام قد تميز عن الرسالات السماوية التي سبقته، بإقامته «الدولة» التي تحرس «الدين»، والتي تسوسها هذا الدين، كما تميز بتكوينه «لأمة... وجماعة» و«الوطن» هو الوعاء «للأمة» و«الدين»... كما تميز بإبداعه «للحضارة والمدنية»، كأثر من آثار تطبيقاته «كدين»... كما تميز «بالعالمية»، لأنه لن يُبعث نذيرًا في أي مكان من هذا العالم، بعد بعثة رسول الإسلام ﷺ... وتميز كذلك بـ«الخلود شريعته» إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأنها الشريعة التي ختم بها الله رسالات السماء والوحي الإلهي لبني الإنسان.

إذا كان الإسلام قد تميز في هذه الميادين عن الرسالات التي سبقته... فلقد تميز في حضارته بمنهاج «الوسطية الجامعة» في النظر إلى «ذاتها» وإلى «غيرها» من الحضارات.

وإذا كان كتاب [الفهرست] لابن النديم [٤٣٨هـ/١٠٤٧م] قد مثّل باكورة علم إسلامي، ارتادت به الحضارة الإسلامية ميدان التصنيف للعلوم والفنون والعلماء والفرق والمذاهب والملل والنحل... فإن في هذا الكتاب «العمدة» معالم منهاج إسلامي في النظر إلى العلاقات بين الحضارات.

فهو في الديانات والمعتقدات والمذاهب يفرد لكل أمة مكانًا يحكي فيه عقائدها وكتبها والمبرزين من علمائها... ويصنع ذلك أيضًا في الحديث عن الأساطير والخرافات

والعرائم و ... وذلك شارة إلى سنة خلاف الأمم في الشرائع والسير والثقافات..

وهو في علوم الكلام، والفقه، واللغة، والنحو، والأدب، والسير، والتاريخ، والشعر، وعلوم القرآن والسنة، يعتبر عند إبداع العرب والمسلمين.. وذلك إشارة لتميز علوم الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم الأخرى.

وهو في الفلسفة، والعلوم الطبيعية، وعلوم الصنعة التطبيقية، يسوق أخبارها وأعلامها وكتبها في تسلسل وحدة التاريخ وحتى عصره، عبر الأمم والشعوب وذلك إشارة إلى ما اشتركت به جميع الأمم، وتوارثه الأمم والحضارات، وتضيف إليه وتبدع فيه، وتتفاعل مع غيرها في حقائق هذه العلوم وقوانينها.

الأمر الذي يركي مصطلح "العلم الإنساني" وهو خاص بتميز الأمة في كرامة من الأمم وحضارة من الحضارات.

قد عنيت الفلسفة الإسلامية من الكندي [١٨٥ ـ ٢٦٠هـ ٧٩٦ ـ ٨٧٣م] إلى مصطفى عبد الرازق [١٣٠٢ ـ ١٣٦٦هـ ١٨٨٥ ـ ١٩٤٦م]. قد تأثرت فلسفتهم عن الفلسفة اليونانية وأن الكثيرين منهم قد شعروا "بالكلام والموحد" فكانت قراءة من درس منهم الفلسفة اليونانية قراءة بعقول إسلامية وعقل إسلامي، وذلك من خلال محاولاتهم التوفيق بين الفلسفة والدين، أو الجمع بين أرسطو [٣٨٤ ـ ٣٢٢ق م] وأفلاطون [٤٢٧ ـ ٣٤٧ق م] ومن خلال الانتقادات التي وردها على مقولات اليونانية، أو الشروح والإضافات التي تؤكد أثناء شروحهم على هذه المقولات.

وقد أدركنا ذلك، عندما أن للعلوم الطبيعية وعلوم الصنعة التطبيقية والتقنية قد كانت أرض موحدة للفكرية الإنسانية على حين تأثرت المعتقدات والشرائع والمناهج والثقافات والآداب والتصورات الفلسفية بوحدة وتكاملة الإنسان في هذا الوجود أي أن الأمم والحضارات قد تتأثر في تكوين شخصي، وعبقري لنفس الإنسانية سمة مشتركة في علوم الطبيعة والتقنية، وعبقري تواضع عليه أن علوم الصنعة والتقنية وتجريبية وتطبيقاتها فكانت علاقة "العموم والخصوص" هي التي "الجمع" و"يصح" تدبير" بين الأمم والحضارات.

***

ـ ٧ ـ

الخاتمة

هذا هو الإسلام كما تجلى، بالحقائق، من خلال هذه الإشارات والشهادات.

* دين التوحيد الذي يبلغ في التربية قمة التجريد، فكل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك.

* وهو المصدق لما بين يديه من الكتب والنبوات والرسالات، والمصحح والمصنف والمستوعب لمواريث النبوات.

* وهو دين القيمة.. والبينة.. والعلم.. والبرهان.

* وهو دين النور والاستنارة والتنوير بالله.. والرسول.. والقرآن.. والحكمة.

* وهو دين العدل.. مع الذات.. ومع الآخرين.. ومع من يكره.. وحتى مع الذين يقاتلون أهله.

* ودين التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف في كل عوالم الحلول والأفكار.. مع التوحيد بالذات الإلهية.. التي ليس كمثلها شيء في الأرض ولا في السماء.

* ودين الحرية في الاعتقاد، لأن الإيمان به تصديق قلبي يبلغ مرتبة اليقين، فلا سلطان عليه إلا لله.. ومن المحال أن يتأتى بالإكراه..

* وهو الدين الذي تفرد بتكوين "الأمة" و"الدولة" و"الوطن" و"الحضارة"، التي تتنوع في إطارها الشعوب والقبائل والألسنة واللغات والقوميات والشرائع والملل والألوان والأجناس والعادات والتقاليد والأعراف.. فالوحدة فيها قائمة على التنوع، والتنوع فيها قائم في إطار جوامع المشتركات.

* وهو الدين الذي جمع في مصادر المعرفة بين عالمي الغيب والشهادة، وفي سبل المعرفة - بين العقل والنقل والتجربة والوجدان.. فامتزج في ثقافة أمته «الشرعي» و«المدني» و«الروحي» و«المادي».. حتى لقد تديّنت فيها - الفلسفة، وتفلسف الدين!..

* وهو الدين الذي مثل الإحياء العام للإنسان والأمة والحضارة والمواريث العلمية التي أبدعها الأولون.. فكان إنقاذا لمواريث العلم الإنساني من الضياع.

* وهو الدين الذي أذالت فتوحاته قوى الهيمنة والقهر والاستغلال، فحرر الأوطان الشرقية.. وحرر ضمائر الشعوب.. وترك الناس - أحرارًا وما يدينون، فكان المنقذ حتى للديانات التي لا يدين أهلها بالإسلام؟.. بل والتي يجحد أهلها الإسلام الذي أنقذهم من الفناء!!

* وهو الدين الذي تآخى في ثقافته عالم الغيب والشهادة.. وآيات الكتاب الإلهي المسطور وآيات الكتاب الإلهي المنظور.. فكانت نظرته إلى «الطبيعة» باعتبارها «خليقة» حية.. تؤمن بخالقها.. وتتجه إليه بالحمد والتسبيح.. فكان إبداع حضارته مقترنًا بإيمان إنسانه.. وكانت التجارب والمنهج التجريبي مظهرًا لعبقرية أمته في ميادين العلوم.

* * *

وهنا يسأل الإنسان:

- إذا كان هذا هو الإسلام.. الدين.. والحضارة.. فماذا يستحق هذا الإسلام من الناظرين فيه؟.. حتى ولو لم يكونوا من المؤمنين بثوابته في الاعتقاد؟؟

ماذا يستحق هذا الإسلام من الناظرين فيه.. والدارسين لحضارته.. ولتاريخ أمته؟!.. الإنصاف؟.. أم الافتراء؟!..

* * *

الهوامش:

(١) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] ص ١١ ـ ٢١ جمعها وحققها: د. محمد حميد الله الدار البيضاء ـ طبعة القاهرة ـ سنة ١٩٥٦م

(٢) ابن عبد الحكم [فتوح مصر وأخبارها] ص ٤٦ طبعة ليدن سنة ١٩٢٠م

(٣) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] ص ١١١ ـ ٢٨

(٤) العزالي ـ أبو حامد [المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى] ص ٦٠ ـ ٦٣ طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ بدون تاريخ

(٥) ابن عبد البر: [الدرر في اختصار المغازي والسير] تحقيق د. شوقي ضيف طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م

(٦) يوحنا النقيوسي [تاريخ مصر يوحنا النقيوسي، ص ٢٠، ٢٢٠ ترجمة ودراسة د. عمر صابر عبد الجليل، طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م

(٧) د. صبري أبو الخير سليم: [تاريخ مصر في العصر البيزنطي] ص ٦٢ ـ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م

(٨) العزالي أبو حامد [الاقتصاد في الاعتقاد] ص ١٣٥ طبعة مكتبة ومطبعة مصبح بالقاهرة ـ بدون تاريخ

(٩) الجاحظ: [كتاب الحيوان] جـ١ ص ٢١٦، ٢١٧، تحقيق: عبد السلام هارون طبعة القاهرة ـ الطبعة الثانية

(١٠) المصدر السابق: جـ٢ ص ١٣٤، ١٣٥.

(١١) محمد عبده [الأعمال الكاملة] جـ٣ ص ٢٧٩ ـ ٢٨ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م

(١٢) الماوردي [أدب القاضي] جـ١ ص ٢٧٤ طبعة بغداد سنة ١٩٧١م

(١٣) [الاقتصاد في الاعتقاد] ص ٣٢.

(١٤) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] جـ٣ ص ٢٧٩.

(١٥) د. علي فهمي خشيم [خطابات أبو علي وأبو هاشم] ص ٣٣٣ طبعة طرابلس ليبيا سنة ١٩٦٨م

(١٦) د. فؤاد سزكين [مكانة المسلمين والعرب في تاريخ العلوم] مجلة الثقافة ـ الجزائرية ـ عدد مارس ـ أبريل سنة ١٩٨٦م ص ٣٦.

(١٧) المرجع السابق، ص ٣٧

(١٨) ابن النديم: [الفهرست] ص ٨٩، طبعة ليبزج سنة ١٨٧١م

(١٩) المصدر السابق: ص ٢٤٢، ٢٤٤

(٢٠) مصدر سابق ص ٣٥٤

(٢١) ابن عساكر [تهذيب تاريخ ابن عساكر] جـ ٥ ص ١٩، ٢٠ صفحة دمشق سنة ٣٣١ هـ

(٢٢) ابن عبد ربه: [العقد الفريد] جـ٢ ص ٢٣٢، طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م

(٢٣) نقلا عن "الفصوص" على هامش [تاريخ الحكماء للقفطي] ص ٢٩٤، ٣٠ وانظر د. محمد عبد الهادي أبو ريده، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م

(٢٤) ابن أبي أصيبعة [عيون الأنباء في طبقات الأطباء] ص ١ صفحة بيروت سنة ١٩٦٥م، وانظر عن حنين بن إسحاق و[رحلته العلمية في سبيل المخطوطات] ص ١٨٦ طبعة بيروت سنة ١٩٧١م

(٢٥) ابن جلجل: [طبقات الأطباء والحكماء] [صفحات طبعة] ص ٦١، ٦٢، تحقيق: فؤاد سزكين، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م.

(٢٦) [الفهرست] ص ٢٤٤، ٢٤٥

(٢٧) [طبقات الأطباء والحكماء] ص ٦٥

(٢٨) المصدر السابق، ص ٦٧، ٦٨

(٢٩) المصدر السابق، ص ٦٨، ٦٩

(٣٠) المصدر السابق، ص ٧٣، ٧٤، و[الفهرست] ص ٢٥٥

(٣١) قدري حافظ طوقان: [تراث العرب العلمي] ص ١٧١، ١٧٣، ١٧٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م

(٣٢) ابن رشد [ابن طفيل] فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] ص ٢٩ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، طبعة القاهرة، الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٩م

(٣٣) [الفهرست] ص ٢٤٣.

(٣٤) د. فؤاد سزكين: "محمد بن شاكر" مجلة تراث العرب العدد الرابع السنة ٩٨٢م ص ٣٨، ٣٩.

(٣٥) [تراث العرب العلمي] ص ٢٢٤-٢٢٦، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٧٢

(٣٦) [طبقات الأطباء والحكماء] ص ٧٧، ٧٨

(٣٧) [تراث العرب العلمي] ص ٣٠٩، ٣١٢، ٣٨٦، ٣٨٩، ٢ ٤، ٣٠٥ ٣٠٧، ٢٠٩، ٢١٣، ٤٤٦

***

المصادر والمراجع

* ابن أبي أصيبعة: [عيون الأنباء في طبقات الأطباء] ـ طبعة بيروت سنة ١٩٦٥م
* ابن جلجل: [طبقات الأطباء والحكماء] تحقيق: فؤاد سيد ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م
* ابن رشد (أبو الوليد): [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩م
* ابن عبد البر: [الدرر في اختصار المغازي والسير] تحقيق: د. شوقي ضيف ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م
* ابن عبد الحكم: [فتوح مصر وأخبارها] ـ طبعة لندن سنة ١٩٢٠م
* ابن عبد ربه: [العقد الفريد] ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م
* ابن عساكر: [تهذيب تاريخ دمشق] ـ طبعة دمشق سنة ١٣٣١هـ
* ابن النديم: [الفهرست] طبعة ليبزج سنة ١٨٧١م
* الجاحظ: [كتاب الحيوان] تحقيق: عبد السلام هارون ـ طبعة القاهرة ـ الطبعة الثانية
* خليل داود الزرو: [الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة] طبعة بيروت سنة ١٩٧١م
* د. صبري أبو الخير سليم: [تاريخ مصر في العصر البيزنطي] ـ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.
* د. علي فهمي خشيم: [الحمائيان: أبو علي وأبو هاشم] ـ طبعة طرابلس ـ ليبيا سنة ١٩٦٨م.
* الغزالي ـ أبو حامد: [المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى] ـ طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.
[الاقتصاد في الاعتقاد] طبعة مكتبة صبيح ـ القاهرة ـ بدون تاريخ
* د. فؤاد سيركين: [مكان المسلمين والعرب في تاريخ العلوم] ـ مجلة «الثقافة» الجزائرية ـ عدد مارس ـ برلين سنة ١٩٨٦م
* فلهوزن ـ يوليوس: [تاريخ الدولة العربية] ترجمة: د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م
* قدري حافظ طوقان: [تراث العرب العلمي] ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م

* الماوردي: [أدب القاضي] ـ طبعة بغداد سنة ١٩٧١م
* د. محمد حميد الله الحيدر آبادي: [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] محقق ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م
* محمد عبده (الأستاذ الإمام): [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م
* يوحنا النقيوسي: [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي] ترجمة ودراسة د. عمر صالح عبد الجليل ـ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م

❁❁❁

عوامل امتياز الإسلام

«شهادة غربية»

شهادة المستشرقة الألمانية

«سيجريد هونكه»

أما هذه الشهادة التي تأتي ضمن هذه الشهادات العلمية الغربية، المنصفة للإسلام، فهي للعالمة الجليلة، والمستشرقة الألمانية الشهيرة «سيجريد هونكه»، التي ولدت في ٢٦ إبريل سنة ١٩١٣م، بمدينة «كيل» الألمانية، والتي تخرجت في جامعات «كيل» و«فرايبورج» و«برلين»، والتي تخصصت في الدراسات المقارنة بين الحضارات والديانات.

ولقد حصلت «سيجريد هونكه» على الدكتوراه من جامعة «همبولدت» في برلين سنة ١٩٣٩م - بأطروحة عنوانها «حول تأثير الأنماط الغربية في ضوء فن الغزل العربي والألماني».

وقامت بتدريس الفلسفة.. وعلم النفس الجمعي للشعوب.. وعلم الأديان المقارن.. واللغة الألمانية وآدابها.. وتاريخ القرون الوسطى.. في كثير من الجامعات.

كما قدمت للمكتبة أعمالها الفكرية المتميزة، التي تخصصت في دراسة الإسلام وحضارته، مقارنة بالحضارة الغربية والنصرانية. ومن هذه الأعمال الفكرية:

١ - «شمس الله تسطع على الغرب» سنة ١٩٦٠م - ولقد بيعت منه أكثر من مليون نسخة، وصدرت ترجمته العربية بعنوان «فضل العرب على أوروبا» سنة ١٩٦٤م.

٢ ـ و«العقيدة والمعرفة» الذي صدرت ترجمته العربية سنة ١٩٨٧م.

٣ ـ و«الله ليس كذلك» الذي كتبته أوائل تسعينات القرن العشرين ـ وصدرت ترجمته العربية سنة ١٩٩٥م.

٤ ـ و«قوافل عربية في رحاب القيصر» سنة ١٩٧٦م ـ عن الصلات التاريخية بين العرب والألمان.

ولقد أسست «سيجريد هونكه» لمشروعها الفكري، المقارنات الحضارية والدينية سنة ١٩٧٣م رابطة حملت اسمها، وتولت الرئاسة الفخرية لها.

وهي عضو شرف بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر وحاصلة على كثير من الجوائز والأوسمة العالمية. ومنها جائزة وسام الفيلسوف «كانت» سنة ١٩٨١م، وجائزة الشاعر «شيللر» للألمان سنة ١٩٨٥م، ووسام الاستحقاق والتقدير المصري من الطبقة الرفيعة في العلوم والفنون سنة ١٩٨٨م.

* * *

وفي هذه الشهادة تؤكد الدكتورة «سيجريد هونكه» على:

١ ـ سماحة الإسلام في مقابل التعصب الأعمى للكهنوت النصراني الغربي.

٢ ـ والفهم العربي الخاطئ للجهاد في الإسلام.

٣ ـ والنموذج الإسلامي المتميز لتحرير المرأة وحريتها.

٤ ـ وتميز العقل اليوناني بالطبيعة التأملية التجريدية المحتقرة للعمل اليدوي، وللتجربة في الطبيعة، الأمر الذي جعل هذا العقل

لا يتخذ من الصنعة مصدراً للمعرفة، ولا من التجربة أداة لاختبار صدق المعرفة. فوقفت المعرفة ـ لديه ـ عند العقل، لا الواقع، والفلسفة، لا العلم..

٥ ـ وتمثل العقل المسيحي الأوروبي الموقف المعادي من معرفة الصنعة، التي عدها خطيئة.. وشهوة مماثلة لشهوة الجسد الكامنة في الحواس. كما عد العقلانية إثماً.. وحصر المعرفة في اللاهوت والإلهيات وحده. فالمعرفة عند هذا العقل المسيحي الأوروبي ـ ليست في هذا العالم. والبحث عنها في غير الوحي خطيئة وإلحاد.

٦ ـ ورفض المسيحية الأوروبية للفكر اليوناني وتراثه ـ على حين أحياه الإسلام..

٧ ـ وتميز العقل الإسلامي والعربي بـ:

التسامح والتفاعل مع الموروث الحضاري وإفادته من المواريث الضياع.

وأثر التسامح الإسلامي في إبداع الدراسات المقارنة

ـ وتميز الحضارة الإسلامية بالإبداع في العلوم البحتة والحضارية منذ فجر ظهور الإسلام.

ـ والإبداع الإسلامي بالمنهج التجريبي، كأثر من آثار الموقف الإسلامي المتميز من الطبيعة. الأمر الذي ميز العلم الإسلامي، وحقق الإضافات التي تجاوزت العلم اليوناني. وصححته بالتجربة. التي نهضت على أساسها أوروبا نهضتها الحديثة

ـ وأثر التجريب في العلم الإسلامي على نشأة المنهج الاستقرائي، المنطلق من الجزئيات إلى الكليات والقانون.

ـ وأستاذية العلماء المسلمين لأوروبا الحديثة.

٨ ـ والدور العلمي التجريبي الإسلامي في انتصار العقل العلمي الأوروبي الحديث على النظرة اليونانية والنظرة المسيحية للطبيعة والتجريب.

ـ وتبني العلم الأوروبي للنزعة الإيمانية في فلسفة العلم الطبيعي، على النحو الذي سنته فلسفة العلم في حضارة الإسلام

وشذوذ العلم الوضعي الغربي ـ المادي ـ عن إسلامية العلوم

٩ ـ كما تشهد «سيجريد هونكه» بضرورة تميز النهضة العربية المنشودة بمكونات الهوية الحضارية الإسلامية المتميزة.. دونما تغريب واغتراب.. ودونما عزلة وانغلاق..

نعم، تشهد هذه العالمة الجليلة.. على هذه الحقائق.. حقائق الامتياز الإسلامي.. والتميز الحضاري الإسلامي.. فتقول

* * *

- ١ -

سماحة الإسلام

«إن سماحة النفس العربية وتسامحها الأسر العامر الذي نما في ثرى تلك القارة تحت ظلال الحضارة العربية الفريدة، كان لهما أبلغ الأثر في ازدهار إسبانيا العربية - على العكس من اضطهاد «إيزيدورس» لليهود والمارقين إبان عصر القوط الغربيين - لقد سمح بضروب الفكر على تباين المفكرين واختلافهم أن تتلاقح وتثمر في تساوق سام، وانسجام تام، دون أن يدب إليها الانحطاط إذ سكنت رياحها. لا فرق بين العرب والقوط، والبربر والمصريين، واليهود والسوريين، وسكان أسبانيا والفرس، ولقد انسحب ذلك على المسلمين - وقد كانوا الأغلبية - وعلى غيرهم من اليهود ومن النصارى غير معنويين»

«إن العرب هم الذين أبدعوا إبداعا، يكاد يكون من العدم، هذه الروعة الحضارية الشامخة في إسبانيا، تلك الجنة الفريدة الجمال لأساتذة فن المعمار، والمغنين والمغنيات، والشعراء والشاعرات، والعلماء، بل جنة المرأة، التي نسج الغرب حولها صوراً خيالية شيطانية غاية في الوحشية، دون أن يكون له أدنى معرفة، أو حتى إلهام طفيف ضحل بها»

«إن الكتب، آنذاك، كانت نادرة الوجود شمالي جبال البرانس، حتى إنها كانت في الأديرة تثبت بالسلاسل، بينما ذهب رجال الدين النصارى آنذاك إلى أن طلب العلم والمعرفة، بعدما أنزل الإنجيل، تجديف وكفر بالله» مثلما زعم من قبل «ترتوليان» (١٦٠ - ٢٢٠م) و«أغسطين» (٣٥٤ - ٤٣٠م) اللذان نعتا حب الاستطلاع أو «الفضول المريض»، واصفين إياه بأنه «واحدة من أخطر صور الوسوسة والضلال»، مما يسلم الفضولي إلى الملاحقة والتعذيب..»

* «وبينما عاشت النصرانية في ظل الحكم الإسلامي قرون طوالا - في الأندلس . . وفي صقلية . وفي البقان - فإن «انتصار النصرانية على الإسلام - في الأندلس سنة ١٤٩٢م - لم يَعنِ سوى طرد المسلمين واليهود واضطهادهم وإكراههم على التنصر، واستئناف نشاط محاكم التفتيش التي قامت بتعقب كل من يتخذ سوى الكاثوليكية دينا، والحرق العلني في احتفالات رسمية تحفها الطقوس والشعائر الكنسية لكل من اعتنق الإسلام أو اليهودية . .

ولم تلغ محاكم التفتيش إلا في سنة ١٨٣٤م . . .».

«لقد كتب صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩هـ ١١٦٩-١١٩٣م) - مع ريتشارد قلب الأسد الذي (١١٩٤-١٢٥٠م) لمساواة تامة بين المسلمين وغير المسلمين والاحترام المتبادل، وحرية الكاملة لليهود والنصارى والمسلمين في ممارسة شعائرهم الدينية في أنحاء الأرض المقدسة كافة كما شاءوا . .»

* «ولقد كتب بطريرك القدس «تيودوسيوس» - في أوائل القرن الحادي عشر - إلى الأسقف «أجاتيوس» - في بيزنطة - يقول: «إن العرب هنا هم رؤساؤنا حكام، وهم لا يحاربون النصرانية، بل على العكس من ذلك يحمونها، ويسودون عليها، ويوقرون قساوستنا ورهباننا، ويجلون قديسينا . .».

* «بينما أصدر كبير وعاظ الحروب الصليبية «برنارد كليرفوكس» أمره إلى المحاربين الصليبيين:

«إما التنصير وإما الإبادة»!

«ووصف مؤرخ الأوروبي «ميشائيل درسبرج» مذبحة المسلمين في القدس سنة ١٠٩٩م على يد الصليبيين - وكيف كان البطريرك نفسه يعدو في رفقة بيت المقدس، وسيفه يقطر دما حصده به كل من وجده في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح، فأخذ في غسل يديه تخلصا من دماء ملاصقة لهما . وعرض كتاب «المرور للذي» «المرح لأبرار حين يروون عقاب الأشرار» ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول: «حقا إن الصديق يرى مكافأته، ويغسل قدميه في دم الخاطئ» (المزمور ٥٨ : ١٠) ثم أخذ في دعاء يقدس فيه الله لم يتسنه في حياته من قبل لأي قربان أعظم من ذلك ليرضي الرب»!

*وعندما حثّ الصليبيون «دمياط» لمساء المصري بعد الاستيلاء على حصنها [٦١٥هـ ١٢١٨م] نادوا جميع من بها، بناء على أوامر السلطان ومعونته، بالكرامة والخروج بكنيسة

فلما أبصر السلطان الكامل على هذه الحملة سنة ١٢٢١م أكرم أسراهم ولم ينقص منهم شيئاً من التعيين والتسليم، وقد أطعمهم في مجاعة أربعة أيام حولاً، مرسلاً إلى جيشهم المتصور جوعاً كل يوم ثلاثين ألف رغيف، ومورداً عدائد أخرى وشهد بهذا الإكرام أحد هؤلاء الأسرى، عالم الفلسفة اللاهوتية «أوسطروس» من كولونيا نهر الراين بألمانيا. فكتب يقول للملك الكامل:

«منذ تقادم العهود، لم يسمع المرء عن هذا الترفق والجود، وبخاصة إزاء أسرى العدو اللدود. ولما شاء الله أن تكون أسيراً، لم نعرفك مستبد طاغية، ولا سيد داهية، وإنما عرفناك أباً رحيماً، شملنا بالإحسان والطيبات وعوناً منقذاً في كل النوائب والملمات، ومن ذا الذي يمكن أن يشك لحظة في أن مثل هذا الجود والتسامح والرحمة من عند الله؟

إن الرجال الذين قتلت آباءهم وأبناءهم وبناتهم وزوجاتهم وأخواتهم، وأذقتهم مر العذاب، لما غدوا أسراهم، وكدنا نموت جوعاً، راحوا يؤثرونا على أنفسهم على ما بها من خصاصة، وأسدوا إلينا كل ما استطاعوا من إحسان، بينما كنت تحت رحمتهم لا حول لنا ولا سلطان..».

*«وحين تمكن صلاح الدين الأيوبي من استرداد بيت المقدس (٥٨٣هـ ١١٨٧م) التي كان الصليبيون قد انتزعوها من قبل (٤٩٢هـ ١٠٩٩م) بعد أن سفكوا دماء هائلة في مذبحة لا تدانيها أي مذبحة وحشية وقسوة، فإنه لم يسفك دم سكانها من المصري بتاتاً لسفك دم المسلمين، بل إنه شملهم بعفوه، ووسع عليهم من جوده ورحمته، صاروا المثل في التحلق بروح الفروسية العالية.

وعلى العكس من المسلمين، لم تعرف البروسة المصرانية أي التزام خلقي حيال كلمة الشرف أو الأسرى. فهنري ريشارد قلب الأسد (١١٥٧ ١١٩٩م) الذي أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أسير عربي أن حياتهم آمنة، إذا هو فجأة منقلب المزاج، فأمر بذبحهم جميعاً..»![1]

* * *

-٢-

الجهاد الإسلامي

«إن الجهاد الإسلامي، ليس هو ما نطلق عليه - ببساطة - مصطلح الحرب المقدسة.

فالجهاد - كما يذكر الألماني المسلم أحمد شميدة - «هو كل سعي مبذول، وكل اجتهاد مقبول، وكل تشبث للإسلام في أنفسنا، حتى نتمكن في هذه الحياة الدنيا من خوض الصراع اليومي المتجدد أبداً ضد القوى الآمرة بالسوء في أنفسنا وفي البيئة المحيطة بنا عالمياً. فالجهاد هو المنع الذي لا ينقص، والذي ينهل منه المسلم مستمداً الطاقة التي تؤهله لتحمل مسئوليته، خاضعاً لإرادة الله عن وعي ويقين. إن الجهاد بمثابة التأهب اليقظ الدائم للأمة الإسلامية لاندفاع بردع القوى المعاديه كافة التي تقف في وجه تحقيق ما شرعه الإسلام من نظام اجتماعي إسلامي في دنيا الإسلام»

و[illegible] وبعد انصرام [illegible] لا يزال العرب المصريون [illegible] بحكومات مختلفة خرجت التي كانت الجهاد يروجها، حيث زعم مختلقوها أن جيوش [illegible] محمد [illegible] الإسلام [illegible] وبعد [illegible] من [illegible] يحيط بأصبعي [illegible] ويبيح العرب على ذلك [illegible] بالكلمة الطيبة، بالكتابة، وفي الجرائد والمجلات، والكتب والنشرات، وفي برامج الإذاعة، من أحدث حملات الدعاية ضد الإسلام.

﴿لا إكراه في الدين﴾ [البقرة ٢٥٦] ثبت في كلمة [illegible] كما ورد في آية سادسة وخمسين بعد مائتين من سورة البقرة. فلم يكن الهدف أو المقرى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامي، وبسط سلطان الله في أرضه، فكان للنصراني أن يظل نصرانياً، ولليهودي أن يظل يهودياً، كما كانوا من قبل، ولم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائر دينهم. وما كان الإسلام يبيح لأحد أن يفعل ذلك. ولم يكن أحد ليرى أذى أو ضرراً بأحبارهم أو قساوستهم ومرجعيهم، وبيعهم وصوامعهم وكنائسهم..

لقد كان أتباع الملل الأخرى - وبطبيعة الحال من النصارى واليهود - هم الذين سعوا سعياً لاعتناق الإسلام والأخذ بحضارة الفاتحين، ولقد ألحوا في ذلك شغفاً وافتتاناً، أكثر مما أحب العرب أنفسهم، فاتخذوا أسماء عربية وثياباً عربية، وعادات وتقاليد عربية، واللسان العربي، وتزوجوا على الطريقة العربية، ونطقوا بالشهادتين. لقد كانت الروعة الكامنة في أسلوب الحياة العربية، والتمدن العربي، والسمو والمروءة والجمال، وباختصار السحر الأصيل الذي تتميز به حضارة العربية، بغض النظر عن الكرم العربي والتسامح وسماحة النفس. كانت هذه كلها قوة جذب لا تقاوم.

لقد ساء ذلك الآباء الروحيين النصارى، فقد كانوا شهود عيان في الأندلس لقوة جذب المد الروحي والفكري العربي، الذي سقط ضحيته رعاياهم النصارى طوعاً وعن طيب خاطر، يشهد بذلك أسقف قرطبة (ألفارو) الذي راح يجأر بشكواه بكلمات مؤثرة تصور بلواه:

«إن كثيرين من أبناء ديني يقرءون أساطير العرب، ويتدارسون كتابات المسلمين من الفلاسفة وعلماء الدين، ليس ليدحضوها، وإنما ليتقنوا اللغة العربية ويحسنوا التوسل بها حسب التعبير القويم والذوق السليم. وأين نقع اليوم على النصراني - من غير المتخصصين - الذي يقرأ التفاسير اللاتينية للإنجيل؟ بل من ذا الذي يدرس منهم الأناجيل الأربعة، والأنبياء ورسائل الرسل؟..

واحسرتاه!. إن الشبان النصارى جميعهم اليوم، الذين لمعوا وبزوا أقرانهم بمواهبهم لا يعرفون سوى لغة العرب والأدب العربي! إنهم يتعمقون في دراسة المراجع العربية باذلين في قراءتها ودراستها كل ما وسعهم من طاقة، منفقين المبالغ الطائلة في اقتناء الكتب العربية وإنشاء مكتبات ضخمة خاصة، ويذيعون جهراً في كل مكان أن ذلك الأدب العربي جدير بالإكبار والإعجاب! ولئن حاول أحد إقناعهم بالاحتجاج بكتب النصارى، فإنهم يردون باستخفاف، ذاكرين أن تلك الكتب لا تحظى باهتمامهم!..

وامصيبتاه!. إن النصارى قد نسوا حتى لغتهم الأم، فلا تكاد تجد اليوم واحداً في الألف يستطيع أن يدبج رسالة بسيطة باللاتينية السليمة، بينما العكس من ذلك لا تستطيع إحصاء عدد من يحسن منهم العربية تعبيراً وكتابة وتحبيراً، بل إن منهم من يقرضون الشعر بالعربية، حتى لقد حذقوه وبزوا في ذلك العرب أنفسهم»

* * *

إن سحر أسلوب المعيشة العربي ذاك قد اجتذب إلى فلكه الصليبيين إبان وقت قصير، كما تؤكد شهادة الفارس الفرنسي «فولتير الشارتي»: «**وها نحن أولاء الذين كنا أبناء الغرب قد صرنا شرقيين**»!

ثم راح يصور أحاسيسه وقد تملكه الإعجاب بالسحر الغريب لذلك العالم العجيب بما يعلق به من عطر وألوان، تبعث النشوة في الوجدان. ثم يتساءل بعد ذلك مستنكرا: «**أفبعد كل هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب؟! بعدما أفاء الله علينا، وبدل الغرب إلى الشرق؟!**»[٢]

بهذا انتشر الإسلام.. وليس بالسيف.. أو الإكراه.

* * *

- ٣ -

التحرير الإسلامى للمرأة

* «إن الرجل والمرأة فى الإسلام يتمتعان بالحقوق نفسها، من حيث النوعية، وإن لم تكن تلك الحقوق هى ذاتها فى كل المجالات.

... وفى الحياة الزوجية، التى يهتم بها القرآن اهتماما رئيسيا، تنظر المرأة إلى زوجها نظرة العارفة بقوامته عليها، وذلك أن كبرياءها تأبى عليها الامتثال والولاء والطاعة إلا لمن ترفع إليه بصرها إعجابا وتقديرا. فالعلاقة بينهما تخضع للامتثال القائم على الثقة والخضوع والولاء، ولا تعنى تلك «الطاعة» عبثا ينوء المرء تحته معانيا، بل إن المرء يتمتع بخضوعه هنا، دون حط من قدره، بل إنه ليبلغ خضوعه أسمى الدرجات، سواء فى عبوديته لله، أو فى حبه من يحب. وهذا هو الذى عبر عنه ابن حزم الأندلسى (٣٨٤-٤٥٦هـ ٩٩٤-١٠٦٤م) فى كتابه «طوق الحمامة» حيث يقول: «ومن عجب ما يقع فى الحب من طاعة المحب لمحبوبه. ولقد وطئت بساط الخلفاء، وشاهدت محاضر الملوك، فما رأيت هيبة تعدل هيبة المحب لمحبوبه. وهذا مكان تتقاصر دونه الصفات، وتتلكن بتحديده الألسنة...».

* «لذلك، فعلى المرأة العربية أن تتحرر من القيود الأجنبية، وإذا أرادت طى صفحة الماضى بخلعها للحجاب، فلا ينبغى عليها أن تتخذ المرأة الأوروبية أو الأمريكية أو الروسية قدوة تحتذيها، أو أن تهتدى بفكر عقائدى مهما كان مصدره، لأن فى ذلك تمكينا جديدا للفكر الدخيل المؤدى إلى فقدها لمقومات شخصيتها، وإنما عليها أن تتمسك بهدى الإسلام الأصيل، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح، اللاتى عشنه منطلقات من قانون الفطرة التى فطرن عليها، وأن تلتمس العربية بذهن المعايير والقيم التى عشن وفقا لها، وأن تكيف تلك المعايير والقيم مع مطلبات العصر

الضرورية، وأن تضع نصب عينيها رسالتها الخطيرة المتمثلة في كونها أم جيل الغد العربي، الذي يجب أن ينشأ عصاميا يعتمد على نفسه».

«لقد طبع التحدي الذي واجه الفلسطينيات موقفهن بطابع متميز. فبينما تعاني آلاف الرجال بين السجون، كان عليهن أن يقمن وحدهن بأعباء الأسرة، وتربية الأطفال وتنشئتهم، أو حماية أنفسهن وأسرهن من الفتك الذريع وعنصاب الربانية الوحشية السادر. وهكذا لم يكن دور الفلسطينيات جديدا فحسب، وإنما نشأن وشبين لتولين أدوار قيادية في المجتمع، ولقد شاركن مشاركة إيجابية في حركة الانتفاضة، أو قل جهاد التحرير، على كل المستويات الممكنة.

إن نساء فلسطين العربيات يكتبن بأنفسهن تاريخ اليوم، وهن اللاتي يحملن مسئولية تقرير مصير في التحول الاجتماعي. فهن يرأسن المؤتمرات الشعبية، وينظمن اللجان والهيئات التعاونية والإنتاجية ويوفرن أماكن العمل والوظائف المختلفة وتشغيلها، وهن قد أثبتن مجاهدات شهيدات ينتهك الغاصب كرامتهن، ويزج بهن في السجون ويمعن في تعذيبهن. ولا ريب في أن الفلسطينيات سوف يسهمن في المستقبل إسهاما خطيرا في تقرير مصيرهن بأنفسهن، ومصير فلسطين، وسوف يتحدد حرية جميع الأرض المحتلة في ضوء تحقق المساواة وتحرير المرأة»[٢١].

* * *

ـ٤ـ

العقل اليوناني

* «إن العقل اليوناني الإغريقي عقل تأملي يرتاب، ويردوي، ويتعجب الخبرة الملموسة، والعمل الذي يتطلب الملاحظة المكثفة، مثلما ينكر على الرجل الحر العمل اليدوي الموكول للعبيد فقط في الحقول، متمما بذلك تحليقه شطر مملكة الأفكار العامة والقوانين. لذا، فإن اليوناني يدعن للصيغ الفكرية الهندسية المجردة، والأشكال الفضاء المثالية، في الوقت الذي يترك مزاولة الأعمال الحسابية إلى البائع في السوق وهذا التصنيف ينطوي على مراتب الأجسام الهندسية بدءا بهيئة الكرة، ووصولا إلى المهن المتدنية، كأصحاب الحرف والمهندسين والمهندسي المساحة والمحاسبين وحتى الصيادين»

* «والمادة (الطبيعة) لدى حكماء اليونان نقيضة لله تمامًا وحركة وتصيروره والتحول هي علامة اللاكمال»

«وارخميدس من أشهر «هيبسارش» (١٢٥ـ ١٩٠م) و«ريستارش» (٣١٠ ـ ٢٥٠ق م) و«أرخميدس» (٢٨٧ـ ٢١٢ق.م) وإخيرون» (حوالي ١٠٠ سنة ق.م)، بدراسة يتحجون في قائمة مدرسة في بيئة مصر إن تعمل لدهي فيها بعض مهن الأحرار، ويترفع فيه عن قدره بعمل يدوي، لذي لا يسه إلا بعبيد. وبذلك لا لزوم إلى التقنية فيه»

«ولقد عرف «هوميروس» (القرن التاسع ق م)، بعد صراع طويل مع نفسه، وسدم شديد، أنه طرح جنس محاوله الغوص في حكمة الأرواح بكتابته الوثنية، حيث قال «أيها السيد، لو عدت إلى قراءة تلك الكتب الأرضية مرة أخرى، فإني أنكر نفسك وجودك»!

«وبقدر ما حركت الطبيعة حكماء الإغريق، بدءا بـ«طاليس» (٦٢٤ ـ ٥٥٠ق م) وانتهاء بـ«بيراقليطس» (٤٨٣ـ ٥٤٤م)، كما يدعن «أفلاطون» [٤٢٧ ـ ٣٤٧ق م] معهم

صعيف، وحده في من متأخرة و بقلاسفة بثلاثة متفوقة على ذلك بقرنين، ب
الحواس لا تقصر على تمييز (معرفة) وجود صفة ، لأنها حواس مخدوع لإنسان
بها لا تدرك غير ظاهر، شيء مقيد في نشأة حتى يدوم، ما كان، غير هو
كائن، فيما يتغير. فهذه مصدر معرفة مضللة غير جديرة بالثقة. ليس بثقتين
بالأدلة معرفة خمسة مشروط، بشرطين هما ظاهر مقترن، متبوع، متبوع،
متداخل، يتلاشى، متحرك، متغير متصرف، دائم لغير قطيعة لعقوبة
في «المادة»[1].

ومن خلال كشف عن مادة و بصفة، لا يتسنى حصول على معرفة
تعرف بمعنى على أي شيء، لا يتم لا حس بغير لا يتسنى حسد. لا، لا حد، وحسد
لا يسمح للروح بالعثور على معرفة "

«وفي الأفلاطونية حديثة كل محب حقيقة، صاحب شعور دقيق، متحول
هو عبد حسد ... فيه، فيه ... وح ... يسمح ثم يروح ... للأنس عادة، تُعث بها
ويُلطّح، وتُصاب بالشهوة» .

«ولقد تعجب أرسطوطاليس (٣٨٤ ٣٢٢ق م) عن الحقيقة لدى تعرضه لطبيعة
الطيور؛ لأنه لم يمارس صيد الطيور قط».

«لقد رشّح أرسطوطاليس الفيلسوف، و تضلعه بعلانيه، كما يقطو وهُ دهشة
في فن البرهنة والمحاجة و جدلية المصاغ منطقيًا، كالتحبير و تمييز ، تناصيه،
و لاستنتاج ، تقسيمه، و تي خوض ... بتطرق تحقيقه ... مصطور، ... ي صنع
هشة "

«لقد وضع أرسطوطاليس نفسه كمعلم لمنطق و حد ، وهو بعد ... ي حكم
أعمل وحده، ... تحد تقوين منهجه لحدة وسيلة تأمل به و تعلم»

«لقد عد أرسطوطاليس هيمنةً بحكم لتخصص في حقل لمعرفة حيوية بحكم
مقومات علم بيولوجي ثم تعلم ... ن العدث و لفيزياء، ونظرية الموسيقى،
والكيمياء، و نصب، وعلم الحيوان، والبت اليونانية، تبقى على الراجح فلسفية،
وبذلك يونانية المنطق لقد كانت الحقيقة لدى الحس اليوناني المتأمل، ليس مما تعده
الحاسة واقعا، بل واقعا عقليا فقط . . »[4]

- ٥ -

العقل المسيحى الأوروبى

* «يقول «بولس»: «لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله ... والرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة»!

«لقد حارب آباء الكنيسة العلم والبحث بحجة أن ذلك «يجعلهم يترددون فى الخطيئة» ... مرددين بذلك ما أكده لهم ترتوليان»، حيث زعم أنه «بعد مجىء عيسى» لا يحق لهم «أن يكونوا محبى استطلاع أو أن يبحثوا فى العلوم، ففى الإنجيل الكفاية».

ولذلك، فلا الروم البيزنطيون، ولا فرق النصارى، سواء الأقباط أو النساطرة، أو القائلون بالطبيعة الواحدة للمسيح، هم الذين سعوا إلى إنقاذ حضارة إغريق هلينية - التى كان بعضها قد أبيد إبادة تامة على أيدى متحمسى النصارى النشطين فى مهاجمة العلوم...».

* وفى النصرانية: «الإيمان هو ألا ترتاب، وألا تسأل».

«ولقد وصف الأب الروحى «تيرتوليان» فضول العقل بأنه إثم، فضول فاحش ... أو ليست الشهوة، وهى الأكل من شجرة المعرفة، بقصد الارتقاء إلى مستوى الله، هى الخطيئة التى هبطت بالإنسان إلى الأرض؟ فمن الخطيئة الأولى فى الجنة، حظر الإنسان على نفسه بعدها أن يدعى معرفة ليست من حقه، ذلك الذنب! ... وكان جزاؤه أن يسعى إلى النجاة بروحه، بدلا من أن ينحرف بالرغبة الجامحة، الخاطئة فى معرفة المزيد!».

أو لم تضيف الله المعرفة فى الدنيا بأنها غرور؟ ونهى بولس الرسول عن أى نوع من أنواع البحث عن الحقيقة فى هذا العالم؟ لقد جاء: «سأبدد حكمة الحكماء، وأبيد معرفة العارفين»..

فإلى جانب الطريق الوحيدة التي تزكي الروح، كان ثمة طريق أخرى خاطئة ملحدة، أي البحث عن الحقيقة في مكان آخر غير ما أوحي به من السماء».

*«لقد تحولت الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطورية مسيحية (وقد عُدَّ ذلك من أخطر صيغ المحاولة) لاستيفاء المعرفة. هذا ما قدمه «أوغسطين» مرة وإلى الأبد: «... لأنه فضلا عن شهوة الجسد التي تكمن في متعة حواسنا واستمتاعنا - وعبيدها مآلهم إلى الفناء حين ينأون عنك - يحيا في النفس من خلال نفس الحواس ميل وفضول... يُسيَّج بقناع العلم والحكمة...».

ومن هذا الفضول القاتل، الذي ينشأ من هرش نحو حب المعرفة والابتكار، رغب الناس المتطلعون إلى اكتشاف الطبيعة. ولئن كانت هذه المعرفة ليست ذات قيمة لهم في الاكتشاف لمجرد الرغبة في المعرفة، وانصرفوا إلى الاهتمام بمسار الكواكب بدلا من العناية بشفاء روحهم المدنية التي تحدق بها الأخطار. ولقد أطلقوا على ذلك أيضًا، سوء استعمال قوى العقل، إن هو عُني باستكشاف الطبيعة، بدلاً من التوجه إلى تعاليم الدين الموحى به...»

«وكما أراد «أوغسطين» نشأ لدافع الفضول المريض، مجرد النزعة إلى التجربة والابتكار، وبها ظهرت إحدى أخطر صيغ التجربة».

«وكما قال بولس الرسول: «يوجد مكتوب: أريد أن أهدم حكمة الحكماء وأحطم عقل العقلاء... وإن الغباء الموجود في الوجود اختاره الله. وهذا يسيء إلى الحكماء»!

«أينما وضعت المسيحية قدمها، في الإسكندرية وبيزنطة، في اليونان وروما، وفي فرنسا وبريطانيا، أدت إلى تقلص مروع للثقافة».

«لقد فصلت المسيحية فصلاً مطلقًا بين الحياة الأخروية العلوية، والدنيوية، الأرضية المكتظة بالنقائص. وكل ما هنالك قابل للقسمة بعمق، وتُلْقَى بينهما العداوة بلا أمل للتوفيق: الله والعالم، الروحي والدنيوي، والروح والجسد، الرجل والأنثى. لقد تعلموا ذلك من أوغسطين أساسًا».

*«ولم تكن لدى المسيحية، كهدى سماوي، أسئلة توجهها إلى العالم، ولقد سمحت للإنسان كذلك بتوجيه أسئلة إليها:

ـ أو لم تكن الشهوة إلى المعرفة هي السبب في بزوغ الفلسفة إلى العالم؟

ـ أو لم يصف الله حكمة العالم بأنها عبث؟ «ورفض بوعي كل أنواع البحث عن الحقيقة»

وإلى جانب الطريق الروحية، توجد الوسيلة للروح، إلى الله، عُدَّ كل طريق يبحث عنها في أي مكان آخر عدا الروحي خطيئة مميتة. أن تكون مبحثاً للاطلاع، وأن تبحث بعدف يُثير بالإعجاب أمران جعلهما «بيير توليب» و«أوغسطين» ورئيس أساقفة «تمير» إثماً عظيماً وخطيراً!.

«ولقد شهّر الراهب «أتاناسيوس» ـ من دير سانت قُكتور ـ بالفيلسوف الكافر المُلحد بحجة معرفة شكل الأرض، وطبيعة عناصرها، وموقع النجوم، وطبيعة الحيوانات، وقوة الرياح، وحيلة النباتات والديدان».

«إن الديانة المسيحية السماوية، لم تكن خالية الوفاض فقط من أسئلة توجهها إلى العالم؛ لأن مشيئة الله ليست موضع سؤال، بل لأنها فضلاً عن ذلك غير قابلة للحساب، وفي رأيها لم يكن ثمة باعث، بل ولا حق أيضاً في تقصي الأسباب»

و استناداً إلى حجة المفكرة المسيحية عن العالم(صنع الله)، كما رسمها اللاهوتيون ضد الإلحاد، وهو زيره من خدمهم ـ سواء أوغسطين و أفلاطون، أو الأفلاطونية الجديدة، أو الفلسفة الأرسطوطاليسية ـ فإنه لم يكن بالإمكان قط نشوء علم طبيعي لدينا؟

إن الشائبة المسيحية عملت على رفع الطبيعة بمفهوم خارجي، عن طريق الخروج، دخل في هيئة عيسى سواء أكان بمعجزة، بالرحمة أو العقاب، بتقمص صورة إنسان، في عالم أدنى سيصير عليه بمعجزات، وبعد أن انسحب، ما يفتأ يتدخل يومياً من خلال سر الأقداس، ومن خلال تقمص الصلوات والخير والأعمال الخيّرة

ولم يكن للعلم أن يتقدم في ظل الشائبة الأفلاطونية والأفلاطونية الجديدة، طالما أن العالم المنظور للطبيعة السماوية والأرضية هو لا شيء، مجرد ظل واهن لعالم الفكرة، وأن كل مجهود يبذل لاكتشافها عبث، لا يستسيغه العقل، كما قال أفلاطون. «يجب،

بدلا من ذلك أن نكب على المهام المجردة، سواء في الفلك أو الرياضيات والأحرام السماوية، إذا ما طمحنا بصدق إلى فهم الفلك».

*ولقد جاء في مرسوم رئيس أساقفة باريس «تيمبير» بحق «سيجر ... » «إن ما هو صحيح في نظر العقل، قد يكون خطأ في نظر العقيدة»

*«... ت ... ت ... ت

على هذا النحو احتقر العربي كل أمور أهل هذه الخرعبلات، فيما قدر عليه صحت نظرته في مشاهداته التي تتعلق بالكائنات في الطبيعة، بين هتكه حجب المعجزة الذي غطى في أوروبا كل شيء».

* «لقد قرأ العرب لكندي» (١١٩٣ـ ١٢٨٠م) شيئاً عن الحساب والهندسة، وألف كتابين عن الحساب كما تعلمهما على يد الأخوة موسى الثلاثة. محمد بن موسى بن شاكر (٢٥٩هـ ٧٨٣) وأحمد بن موسى بن شاكر (كان حياً في ٢٥٩هـ ـ ٨٧٣م) والحسن موسى بن شاكر (٢٠٠هـ ـ ٨١٥م). وثابت بن قرة (٢٤٨ـ ٢٨٩هـ ٨٦٢ ـ ٩٠٠م)، والحاذق من العرب هم بدراسة السكونيات والميكانيك ويعتبر الأمر من هذا النوع البعيد أن يبذل جهداً كبيراً من أجل الحصول على ترجمة سيشاتي يحول له حق البحث والتعامل مع الفلاسفة اليونانيين (المسيحيين) وبخاصة من رؤسائه، الذين حرموا لهم الانحراف من خلال الاحتكاك بالشك الكبير (المسيحي) مرة ولى الأبد».

«ولقد قص مرسوم سنة ١٢٢٨م لكنسي «إن على أعضاء الطائفة ألا يدرسوا الفلاسفة الملحدين.. وعليهم أيضاً ألا يتعلموا العلوم الحرة ولا المدنى الأوبية أيضاً كالحساب والهندسة، وحساب الأعداد الكنسية، وأن استثناء خاص يمنح لبعض الشخصيات».

«وكان فلاسفة اللاهوت عندما يصل إلى علمهم أن شخصاً ما يبحث، يدعون عقيرتهم: إنه ملحد!.. لأنه يطالب بحق الفهم، وبالحق في معاينة وعلم الأشياء بنفسك.. وحين يعثرون على شيء عثروا في مكان ما، حينئذ يطالبون بإلصاق تهمة الهرطقة.. لقد طرت الكنيسة في العالم بقرار واشمئزاز، وحذرت وحولت نظامجين في المعرفة الإنسانية..

ولا عجب أن احتل مؤلف «سكوت إريوجين» (٨١٠ ـ ٨٧٧م) رئيس مرتفع، سابع عن أبعية في العقل، وعمق في التفكير، والذي عنوانه [تسخير الطبيعة]. بحسن لرئاسة الأوبى في قائمة الكتب التي حكم عليها بالهرطقة والمضروبة من قبل بابوية الرهبان، وأدين في المجمع، والأكثر قدماً في الإحدى حتى سنة ١٩٤٨م، كما جاء في حبر إصدار رسمي شهير به دون هوده لقد اتهم بأنه صبي ضائع، وكتب بعض بالإلحاد الجوي وحجج الشيطانية بدقة، ثم بشع، كفر بدعة»

«إن حكمة بليغة صدرت عن كتاب (حول الطبيعة) لإربوجيس (١٢٠٩م) ومع من الأدبرة وجمعت ستار لسح المواقرة وأحرقت ومن حتفظ بنسخة منه عرض نفسه للطرد من الكنيسة وللحكم عليه أمام الرأي العام بالإحادة».

«وعند «إربوجيس»، فإن الألوهية التي لا تُدْرَك، هي التي تحقق الطبيعة، من حيث يحلق فيها كل شيء داته في خلق دائم، إن الله يبسط داته فوق كل شيء مثلما يكمن فيه، ومنه وبه كل كائن حي، والله هو الذي يسع كرسيه السموات والأرض، الفعل لكل شيء، وبدونه لا يتم شيء، ولا شيء سواه يمتد؛ لأنه هو المكان والمحيط لكل شيء. كل شيء من الله، والله في كل شيء، ولم يخلق شيء من هباء، بل منه وبه قد صار

إن ما ذكر هنا يناقض كلمة ستار المستعدات المسيحية في الخلق، وتناقض الأفلاطونية، والأفلاطونية الجديدة، والأرسطوطاليسية».

«ولقد استخلص «إربوجيس» أن الطبيعة لم تعد لأسفل، لتصدأ له، بل إنها خلقت وسخرت للإنسان إن لها قيمة، وكيانها وحركة في ذاتها بعد تحرير الطبيعة لتصبح موضوع البحث العلمي».

* «وكان أفلاطون قد شدد على ستحالة معرفة نواميس الكون واجتمعت الكنيسة والأفلاطونية و لأرسطوطاليسية على وصف الأرض وما يعيش عليها كشيء وضيع، وشيح مرعم في الخطيئة، ومادة محتمة، فوضوية، في مقابل عالم فوقي مثالي، علوي، خليق بالطموح».

* «لقد كان ذلك، في بعض القرون الوسطى الواقع تحت تأثير الكنيسة والأفلاطونية الجديدة. هو الجمود والسكون الأبدي للأشياء في حين كانت حركة، على نظريته لأرسطو، لكل شيء، ردي، يبعث على الهبوط وهكذا فوس كل شيء مستكن، وأصبحت كل محاولة لتغيير الحياة البشرية وخلال شيء جديد محتمل أقرب ما يكون إلى الإثم..

وفضلاً عن الخوف من التجديد، عمد رجال الدين المسيحي الذي جعل العقلانيين يقتنعون بأن من الأدوات الديمومة العقلية الخالصة على مادة موضوعة سهلة التناول.

أو لم يعد «توما الأكويني» (١٢٢٥ - ١٢٧٤م) إلى الأذهان بتفاهتها إبان الخصومة في القرن ١٣؟ في هذه النقطة أيضًا يتفق الفكر المسيحي واليوناني «إن أدنى قدر يمكن لأحد أن يلم به عن الأشياء الواقعة تحت نظره، أجدر بالطموح من إقامة معينة للأشياء التافهة»

* «لقد ألح الإنجيل على خطيئة آدم، مبينًا أن جميع الويلات والشرور المستشرية في هذه الدنيا مصدرها الأول آدم..

لكن الإسلام لا يرى هذا، إذ ينص على أن الله غفر لآدم بعد أن تاب ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ [البقرة: ٣٧]

والإسلام لا يقول أساسًا بوراثة «الخطيئة الأصلية»، ولا بأن أول إنسان كان أثيمًا، بمعنى أن الخطيئة أو الإثم ليس أصل الفطرة التي فطر الإنسان عليها، بل إن الإثم قد يغتفر إذا تاب الإنسان توبة نصوحًا، حيث يغفر التواب الرحيم الذنوب..»[٥]

* * *

-٦-

رفض المسيحية للفكر اليونانى

* «لقد عدّ القديس «هيرونيموس» الفكر اليونانى لعنة على البشر، فترجم الإنجيل إلى اللاتينية، بحيث قلبت «الفولجاتا - Vulgata» [الترجمة اللاتينية لمكتب المقدس لهيرونيموس] سنة ١٥٤٦م - كلا من هوميروس وفرجيل (٧١ - ١٩ق.م) رأساً على عقب»..

* «ولذلك كانت الحرائق المدمرة، وأعمدة الدخان المتصاعدة فوق الإسكندرية، أكبر المعرفة اليونانية والهلينية على مدى مئات السنين. تلك الحرائق التى أشعلتها المسيحية فى هذا التراث اليونانى»..

إن السماء تصطبغ باللون الأحمر فوق عاصمة المعرفة على ذلك النحو. هذا فى الوقت الذى تتهاوى فيه درر لا تعوض من الأشعار والفلسفة اليونانية والعلوم الإغريقية ضحية لعمليات إبادة من تدبير التعصب المسيحى.

إن إحراق مكتبة الإسكندرية الكبرى والذى يصرون بعناد على تحميل العرب مسئوليته، برغم أنهم فتحوا المدينة، بعد انقضاء أربعة قرون على ذلك الحدث، قد دل هذا الحريق على أنه - بعد دراسة وافية - هو من أعمال الإبادة المسيحية، فضلاً عن أنه دعاية موجهة ضد الإسلام.

وفى عام ٤٧ قبل الميلاد، وفى أثناء مرابطة يوليوس قيصر (١٠١ - ٤٤ق.م) قدمت ٧٠٠ لفافة من كتب مكتبة الإسكندرية طعماً للنيران. لكنه فى القرن الثالث، وضعت خطط التدمير المنتظمة، فقد قام بطريرك مسيحى بإغلاق المجمع العلمى، وطارد أعضاءه. وفى عهد الإمبراطور البيزنطى «فانتوس» عام ٣٦٦م تم استبدال كنيسة بالمجمع

العلمي، ونهبت مكتبته وبددت، وتعقبوا فلاسفتها تحت غطاء وبتهمة السحر والشعوذة.

وفي عام ٣٩١م استصدر البطريرك «ثيوفيلوس»(٣٨٥-٤١٢م) إذنًا من القيصر ثيودوسيوس يقضي بتدمير أكبر وآخر محج للعالم القديم، وهي أكاديمية الإسكندرية الكبرى(السيرابيون)، وبتقديم ٣٠٠ لفافة، طعمًا للنيران، وبذلك تعرضت البشرية لأفدح خسارة في تاريخها

وفي القرن الخامس يعترف أنيوشيس - صديق البطريرك سيفيروس، بأنهما كانا عضوين في مجموعة إرهابية مسيحية في الإسكندرية، وأنهما قاما بمحاربة العلماء الوثنيين وبهجمة دور الثقافة، ودمروا مكتباتهم ومشاتهم، واختفى بذلك ملاذ آخر من معاقل العلم الهيليني..

وفي عام ٥٢٩م تم إغلاق آخر مدرسة فلسفية في أثينا. وفي عام ٦٠٠م أحرقت مكتبة بالاتين، التي أنشئت في روما من قبل أوغوسطوس(٦٣ق م-١٤م) ومنع تداول المؤلفات الكلاسيكية عامة، والرياضيات بصفة خاصة»[٦].

* * *

- ٧ -

العقل الإسلامى

*«إن الفكر العربى يحتفل بالواقع الحقيقى، بينما نرى الفكر الهندى يحتفل بالناحية الذاتية كل الاحتفال، خلافاً للفكر اليونانى الذى ينتقل طفرة من الجزئى إلى الكلى، من الحقائق المفردة إلى الفكرة المجردة. فالفكر الإغريقى لم يكن همه الحقائق الملموسة المحسوسة، وإنما وقف بحوثه على مثله العليا، وتحركت دراساته النظرية حرة طليقة من إسار التأثيرات المادية فى مجال الفكر البحت. أما العرب، فقد سلكوا نهجا وعرا، صعودا من أسفل الدرج فى تسلسل تدريجى يتغلغل دنيا الحقائق العلمية كل منها على حده: المنهج التجريبى القائم على الرصد والملاحظة دون ملل أو كلل، والقياس، والمعادلات والحلول الرياضية، والترقى فى صبر وكد من الخاص إلى العام. ولئن كان اليونانى فى جوهره من فلاسفة الطبيعة (مع وجود استثناءات) فإن العربى قد غدا عالم الطبيعة بالمعنى الحرفى للكلمة، ومخترع علم الطبيعة التجريبى، ولقد عبد العربى بآلاته حقول العلوم البكر الوعرة تعبيدا، ومهد طرق البحث تمهيدا»

*«ومن الثابت أن العرب توسطوا لأوروبا فى نقل التراث القديم، بعد أن أنقذوا من الضياع ما تبقى من الأعمال التى تعرضت للدمار بمرور القرون وبسبب التعصب المسيحى، فى واحدة من أكبر عمليات السلب والإنقاذ المنتظمة فى تاريخ الفكر البشرى. وفى وقت قصير تلت البذار اليونانية والهندية غلالا قابضة، بعد أن أحدثت الحضارة اليونانية منذ زمن بعيد..

هل أحدث الرومان أو الفرس الذين كانت المعرفة تحت تصرفهم، ما يمكن مقارنته بهذا؟

إنه التسامح الإسلامى الذى أتاح للعالم الإسلامى أن ينهل من مصادر المعرفة،

حتى الوثنية: «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها» في حين أن نولس الرسول هدف «لكي يميز الحكيم عن الحكمة» وسخر «أين تولد» «أي توافق يوجد بين الأكاديمية و لكنيسة؟ وأي شيء يربط أثينا والقدس؟» وقد وصف «الأب الروحي» أوغسطين «الفضول المجرد بأنه ضرب خطير من المرض..

لقد كانت العبادة - في الإسلام - هي التطبيق السلوكي للمعرفة، منذ الوهلة الأولى »

*«وعلى حين يصنف اليونانيون البشرية، في ضوء رؤيتهم المزدوجة، إلى شيئين مميزين كل التميز

إما وإلا، هلينيين أو بربرية، أبيض أو أسود، وعلى حين نجد أن الأصفياء المسيحي جنوني المزدوج، إما مؤمنون أو غير مؤمنين نجد المذاهب المختلفة قد عاشت بين ظهراني المسلمين، فلم يفكروا يومًا في أن يشنوا عليها حربًا مقدسة فالفكر العربي لا يكاد يوجد فيه أبيض أو أسود، إنه يقر تعدد، ويعترف فيه الواحد للآخر بأحقيته فهو يوفق بين الأضداد، ولا تتضارب فيه الشهوة والروحانية، والإيمان والمهجة في الحياة، والدنيوي والأخروي، بل إنه أشد ما تكون ميلاً بعضها إلى بعض (فيما بينها) وهكذا أيضا نفهم النظرية والتطبيق»[٧].

*«ويتضح مما سبق أن العرب لم يفكروا، كما فكر المسيحيون، في تعريف المسلمين - كما هو الشأن لدى المسيحيين - إلى الإسلام مطلقًا من خلال نصوصهم الإسلامية المقدسة، وهكذا نجد أن [ ] في مقدمة [ ] (٣٦٢-٤٤٠هـ/٩١٣-١٠٤٨م) [ ] لم يتأسى [ ] في [ ] في حديثه عن [ ] السياسي والوضع الروحي للأديان الهندية، وضعه في حسابه الاعتبارات الحضارية العلمية و[ ] يتعرض لانتقاد [ ] العرب و لفرس والسنيين واللاشوريين و ليونان واليهود والمسيحيين في سياق أعيادهم المقدسة، و[ ] [ ] كما فعل [ ] في حوالي (٣٨٤-٤٥٦هـ/٩٩٨-١٠٦٤م) في مقدمته لأدب [ ] ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ/١٣٣٢-١٤٠٦م)

*[ ] [ ] [ ] (١٧٧٠-١٨٣١م) الشهيرة قاعدة «كان يجب أن تنقضي مئات السنين قبل أن يصبح العقل الأوروبي قادرًا على معايشة، وعلى تحريك جنونه والاستعداد للطيران».

لكن هذه القاعدة لا تنطبق على العالم العربي الإسلامي، الذي زخر، على العكس منهم، بالإنجازات العلمية المهمة في تاريخه المبكر والذي . .

إن السيادة الإسلامية في الشرق خلقت في وقت قصير حضارة مزدهرة امتد نشاطها لعدة قرون، حتى سقوطها في الشرق الأقصى سنة ١٢٥٨م وفي إسبانيا سنة ١٤٩٢م التي ظلت عاصمتها الصغيرة الروحية المسيحية، وضمت محتويات مكتبات الصحراء.

* «وإذا احتقر اليوناني الحر العمل اليدوي، كالبدوي والزراعي، أو عمل الرقيق في عقل غير مفيد، باعتبار أن هذا العمل غير كريم (شريف)، وعثر الاستعمال التطبيقي للمعرفة بمثابة حط من شأن الفكر وتدنيس للمثل العليا لرؤية الأفكار الصادقة، فإن هذا يتعارض تماما مع الواقع التجريبي للعرب. وهنا تكمن جذور نوع معين من توجيه المعرفة، والتي بسببها أصبح العرب يتمتعون بدور خاص، علميًا وتاريخيًا، وتأثير حاسم على أوروبا. وتفصل هذا الفرق كان العرب أكثر من مجرد وسطاء لتراث اليوناني، أكثر من سعاة بريد للقديم. فلم يرتضوا أن يرددوا كالببغاء معارف القدماء، وإنما ابتكروا شيئًا خاصًا وجديدًا».

«لم يعمل العرب على إعداد تراث اليونان من الصناع والتجار فقط. وهو تفصيل توحيدي حدد لعدة قرون لاعتقادهم حتى الآن وأنهم يقومون بحجة سعر صفه، وتقييمه، وتزويده بمعارف خاصة، ومن ثم يضيفه إلى ذخيرة بحث إلى حد لا يحصى من كتب معلمة لعربية حتى عام ١٦٠٠م. فقد تجمعت أفضل مجلدات السنة، وقد أصبح وهذا أمر قيم يحتفر على يد الأوروبيين مؤسس الكيمياء والتجربة التطبيقية، والخبرة، وحساب المفهوم المعاصر، وعلم المثلثات الكروي، وعلم هندسة الأرض، وعلم الجبر، وعلم الكلام.

وإلى جانب الابتكارات والاكتشافات العلمية التي لا حصر لها في مجالات العلوم التجريبية التي ما تزال تدرسها مكتبات الأوروبيون في عصر فقد وضعوا في يد العالم الأداة المتكاملة الجاهزة، ألا وهي النظام العددي والحسابي، ومناهجهم العلمية الطبيعية في مجال البحث التجريبي، الذي من العسير تقويم دوره الفعال في التطور العلمي الأوروبي».

«إن عددا كبيرا من الأعمال اليونانية والإغريقية لـ: «أبوكيد» و«جالينوس» «وبطليموس» وغيرهم قد تم تجاوز بعضها من قبل العرب الذين أمسكوا بزمام التراث اليوناني على مدى مئات السنين، وواصلوا السير فيه وتعدوه»[٩]

*«وبالعرب أيضاً، أصبحت الحقائق المتفرقة موضوعاً لسائر البحوث، وهنا أيضا تولد الصعود التدريجي المتأني، الذي يركن إليه، من الحالات الفردية إلى العموميات، وداب النهج الاستقرائي ليشق طريقه لمنهج علمي، فيه تحاصر الحقائق بمشاهدات ومقاييسات لا تعرف للكلل، وبعدد لا يحصى، وصبر لا ينفد، وعمل منتظم، من التجارب المتكررة، تحت شروط مختلفة، ثم الحصول على قواعد وقوانين ثابتة، وأعيد النظر في النظريات، فمنها ما استبدل، ومنها ما اعتمد في ضوء من حرية الفكر، الذي ظل الشك كالشوكة في جنبه».

«ولكي نفهم ملمح العلم العربي، ونمطه المتميز بمقارنة باليوناني، يجب أن ندرك أنه في حين يتوق اليوناني إلى التجرد من الحس إلى المصادفة، والتعاضي عما هو فردي، كي يصعد نحو المفهوم المجرد، تحتل الخصوصية الفردية مكان الصدارة بالنسبة للعربي...».

*«وفي الوقت الذي كتب فيه [illegible] نحو في وحل موسسات مسطورية، محروما تماما من الوقوف على قدمين ثابتتين، تحالت في العالم العربي دائما أصوات «لا أستطيع أن أجزي بمعلوماتي في هذه القصة» «لقد لاحظت» «أنا شخصيا قد رأيت» «لا يزعم خيال الكبير جالينوس، فيما شاهده على أعيننا أقرب إلى التصديق»

[illegible] عاش بقصبة عبد الملك بن زهر (٥٢٠ ـ ٦٢٨هـ/١٢٣١ ـ ١٢٣٢م) موضوع، الذي كان مدرساً في سائر لخواصه تقريباً. فجالينوس (٢٩ ـ ١٩٩م) قد درس دائماً لأسس يتكون من عضلتين متجمعتين معاً. ولقد كتب ابن زهر يقول: «إلا أننا شاهدنا ألوفاً من العظام والهياكل، وقمنا بفحصها بدقة متناهية، وتحصلنا على نصيب وافر من المعرفة من هذه الدراسة وهي معرفة ما كنا لنتحصل عليها من دراسة

الكتب. وكان جالينوس قد علمنا، بأن الفك الأسفل يتألف من عظمتين يجمع بينهما نسيج صام. غير أنا عاينا ألفي عظم ولم نجد فيها فكًّا واحدًا مؤلفًا من عظمتين. إنه عظم واحد دون أي رفو».

وصوت آخر من ابن النفيس (٦٨٧هـ/١٢٨٨م): «إن ما قاله جالينوس خطأ». فلقد اكتشف ابن النفيس لأول مرة، خطأ جالينوس حول دخول الدم من خلال ثقوب الحجاب الحاجز من حجرة إلى أخرى (الأذين والبطين) فصحح الدورة الدموية الصغرى بمساعدة التشريح، وهو اكتشاف نجله بعده بثلاثة قرون الأسباني ميخائيل سيرفت. لقد كتب ابن النفيس: «لكي نصف مهمة كل عضو على حدة، نسند إلى ملاحظة دقيقة ودراسة صريحة، دون الاكتراث ما إذا كانت تلك من علوم الأولين الذين سبقونا أم لا».

*«لقد قال النظام (٢٢١هـ/٨٣٦م): إن أول شرط للمعرفة هو الشك.

وبهذه الكلمة المدهشة، وفي زمن سادت فيه العدالة السلطوية، وجه إبراهيم النظام علماء العرب نحو الطريق، وبذلك أصبحت التربة ممهدة أمام التجربة العلمية. [illegible] التعرف على الشيء عن طريق أفضل معرفة، اكتشاف الطبيعة الحقيقية للأشياء، كما هي عليه، وبالمقدار المتاح للإنسان. وهذا برنامج عمل لا يسلم بشيء قبل أن تؤكده التجربة..»

لقد تطلب العلم العربي:

١. التسامح السخي مع كل ما هو غريب، حتى في القضايا الدينية، والتسامح مع معرفة الكفار.

٢. استعداد ليبي للوحي، وتميز الهداية الدينية الخاصة والعالمية، لا لقبول المعرفة البشرية العقلانية فقط، بل وحث عليها، حتى إن ما اكتسب العلم ارتفع إلى درجة التقديس، وأصبح بمثابة دماء الشهداء وليس كما فعلت الكنيسة. حشر المؤمنين في خير عقائدي ضيق، بعيدًا عن المتنفس.

٣. ونوح الحياة الفعلية، والتوجه إليه لم يحو الحاجات العملية التي أدت إلى

[illegible] لنصرية و[illegible]، لأنه كان عليه [illegible] مع [illegible] للعديد من الخفية، [illegible] من الأعمدة الخرسية، أو غير المعقول، كما هو الشأن في [illegible] مسيحيين متزمتين من فلاسفة أوروبا في حاضرهم المعتم، الذين كانوا مطرودين إلى العصر بقرون مضية.

٤ لاستعداد للبحث والإصرار على عدم الاستسلام للعقبات والأزمات، ولأنه من سير عظماء [illegible] الخوارزمي وأمثالهم، وشرحها شيئاً لغيرين والأذكياء..

قد قال أحد العرب القدامى وهو [illegible] إن القاعدة التي يجب أن نصدق منها دائماً هي أن برهان اقتُبس من المنقول، عليه أن يخضع للتغيير، حين يقف على النقيض الظاهر مما تشير حواسنا إلى صدقه».

ولقد عرف هذا الشيخ العربي في صنعة الأمراض التي وصفت من قبل [illegible] أنها لا تُرى، وفي أوروبا المسيحية التي [illegible] العربي [illegible] يدعون [illegible] وجود [illegible] البحث، والتشخيص، والتشريح والأدلة الموثقة، وهذه العوامل تبين لنا الفرق بين الشخص

إن الشخص [illegible] يتأكد بالبحث الذي يلاحظ كيف أن الشخص الذي يبحث عن المرض بالفعل هو أيضاً المريض، في حين أن الشخص الذي لا يبحث لا يصيبه المرض وكم أن المرض في [illegible] إلا بعد [illegible] علاوة على ذلك، فإن [illegible] يتأكد عن طريق الوقاية من المرض بدلاً من [illegible] وعن طريق حصانة الأشخاص المعرولين».

«وقد كتب ثابت بن قرة (٨٣٣هـ/٩٠١م) [illegible] الرحمة بحنين بن إسحق (٢٠٢-٢٩٨هـ/٨١٧-٩١٠م) حول ألواح [illegible] التي تثبت حقوق [illegible] بحر [illegible] في وضع يمكن من الإجابة [illegible] عن مثل هذه [illegible] وحسم الموضوع فيها كما يمكنه أن [illegible] على مرقبة الشمس في [illegible] وقعها بين [illegible] وبعد هذا [illegible] بتغيير [illegible] في [illegible] بحيث أتمكن من تكوين حكم أكيد حول ذلك [illegible] وبدأ [illegible]

هذه النقطة، فإني سوف أعارضك غير أنه قد يكون لطيفاً، وربما واجباً مجرداً، أن أعبر عنها، وعليه لا يمكن قبول هذا الكتاب لأني - من جانبي - لا أريد أن أتبنى ما هو ليس بحكم الأكيد، بل العاري من الشك من كل جانب».

«الوثنية عند العرب في الجاهلية، كما هي في صريح القرآن، تعني التصنيم والتحجير، وهي جنس تحته كثير الأنواع، ومنها في مسائل الحج عند جميع الأقوام نهيدة عامة، وهي تعظيم المقدسة، أو ما يصح تقديسه، سواء الاستعمال لتعبد التصنيم، أو لغير ذلك من أغراض الحياة، وهي التي تعنى لهم الشعائر، بوجوهها في الرياضيات، وعلى المستحيل المثلثين في الإسراطورسم الهندسة والبيزنطية، في المدن الآشورية وما بين النهرين».

«الفلكيون تعرف موروث اليونان في العدد وحساب من العلاقات الهندسية التي تحير وتعظم حساب، ثم أحدد يقصون لا يتبين وضع مختلف، حتى يرتضيه».

«شذك جابر بن حيان (٢٠٠هـ/٨١٥م) تصنيفي هو هيمنة على الكيمياء، مؤسس علم الكيمياء، ويتحدث بسهو حتى مطلع العصر الحديث. كان جابر أصيلاً مستقلاً، حتى وهو يعرف بحرية شكوك الكيمياء العصر وتأثيرات كيميائية حديثة، تجريب وتحليل شرقي وغربي، وحتى الهيمنة الإغريقية، حيث أجرى على جوابات من خلال ما قد تصدى له لأدوار المعالجة الأولى للمسائل الكيميائية والفيزيائية، الفلكية والعينية».

«هذا يتضح دور جابر الأصيل لدى تتبع قصته وحصيلته، ومعرفته في عصره، وتعرف من الأشياء تساعده لوقائع وتفكيره، ثم في تحليله لعينة، وبذلك تصح النزاع مع التراث اليوناني أمراً محتماً وقوعه».

والعلم لدى جابر ممكن فقط، حتى يتعرف ويستفسر المرء عن سبب وجود الشيء، ويفحص نظرة جابر الحديثة إلى حقيقة، يتحاور جابر كيميائي الأولين المتقوقعة، ويظهرها من أجزائها التأملية غير العلمية، حتى يتبين من تعقيد

و مصريين استخرجوا من الأعشاب خلاصة تعصر بعصرى المحرق ويدعونه من خلال تجاربه عليه وتقطيره، إلى حمض مولد الأوبية، وإلى قرطاس، وإلى تعريفه وبدلاً من طريقة تصعيد بدائية؛ استعملته حتى وقت الحاضر على نطاق واسع. كما كان يستخدم من بعضهم، يذكر محلولاً حصل عليه من خلاص ملح وماء النار. [مؤلف من ثلاثة مكاييل من مركزة لروح ملح + حمض النيتريك]. كما خلع يصنع في الحصول على نشادر بعدائي وعلى مشتقاته الأمر الذي استبدلته الكيمياء بتقدمة بشكل جوهري.

وثمة فرع حرر بعد شيئاً مشابهاً لفرن الذي يعكس عبقرية جابر، وهو علماء مؤرخون وبهتم بعضهم من خلال تصوره للكيمياء الحصولية إن تحليل جسم إلى عناصر لا بد من يتكون منها، حتى جانب جوهر من جسم، وهو في النهاية، مرتبط بتحليل المكون العضوي الأقدم حضر من مولد الحيوانية: سماه "ثمرة (الكبير) سجل مواصفاتها على أساس حسابه

وثمة موقف من نوع خاص يتحدث عن السموم، قام جابر بتجارب تأثيرها على الحيوانات أولاً..

على أن وضع جابر بالتجربة يعني في مدى بعد، إنها بعاطفية التي كان يشعر له، والتي كسبت بها قصب السبق إن بعاطفين بتأثره بحروف صنائع بحاس سمكة أخرى، و بعاطفية تحوله إلى معنى جابر. قد قاس جابر جميع بعناصر بعد تقدره، دفع في وريد وأثبت بها نقص مرور وقت. كما يستدل على ذلك من أقدم أبوذ تي ترجع بالتحديد إلى عام ٨٥٤م حسب تصحيح بحارة بعرب حجر بعاطيس بحدد وجهة بحرهم في رحلات تجويله في جزيرة حجب من لبحوم سمكة.

**ومن بين أبرز بلامذة جابر بن حيان الرازي تصنيف(٢٥١ ـ ٣١٣هـ، ٨٦٥ ـ ٩٢٥م) الذي صنع من الكيمياء علمًا للشفاء، و دون كتاباً في عهد قريب فرعًا من فروع الطب، فرفعه إلى مرتبة مستقلة، علم يتوجه على عمل حاص، فلا يشتغل جابيوس، ومن بعده ديوسكوريدوس، بمقر (أو بلاذن) دائرة مستحضرات

[illegible] فقد قدم الرازي الأول وصف سليم لعملية تصنيع كيميائية غير عضوية كنتيجة تجريبية وعن إدراك سليم في حدوثه تصنيع وتعقيب طويل لاستعمال لعلاج لتصفي لهدف المخدرات على الحيوانات. وقد نصح بأنه من خلال تحسس سلسلة من المواد الطبيعية صناعية، يمكن الحصول على أدوية جديدة لا تمكن وجودها في الطبيعة وهذه إحدى مكتشفاته الحديثة، بالنسبة لي تعليم وفصلا عن مواد نباتية وحيوانية، كالدم والجلد والبول والسموم، فقد كان يستعمل لي استعمال عدد كبير من المعادن، والملح، والسوريك (بوراكس). وهي كلمة من أصل عربي، والزاج والمعادن، والأحجار، والزئبق، والكبريت، وسلفات الزنك. فصل استعمالها، حيث حسب أفضل منهج. منهج عربي مبتكر يعود للمتخصرة بطريقة تكنيكية في التجارب على الحيوان والتجريب على المرضى، لتصور مركبات الزئبق كعلاج. على سبيل المثال لبعض أمراض الجلد. وفي حوزتنا مواصفات كاملة على مثل هذه الاختبارات.

وفي حقل المخدرات على الحيوانات، استكمل صناعة الحشيش والأفيون لأغراض التخدير، الذي تم التعرف من خلاله على الحيوانات، في حين أنه في أوروبا لم تصل بوسطة سرعان ما كان يتم في مرة على أنه من أعمال الشعوذة ساعة بساعة فلاحق ويطردا.

وتم التعرف على حصر أخصائي الكريت بهجة، وقد درس بتفصيل شامل وشخص بدقة متفرق من عالم الحيوانات والمعادن والنباتات، على سبيل المثال، السموم بمختلف أنواعها، وتعرف إليها ومعالجتها وهذا يعتبر مصدرا لهذه المكتشفة ومخترعة وصار يستهلك حتى يومنا هذا، بهجة في مادة الزئبق الأدوية سيئة الطعم، قدمها الرازي في أقراص عالجها بمشرة ظاهرة.

وأخيرا، ومن السوائل المخمرة بقوة، والمحتوية على سكر، صنع الكحول، كلمة عربية ومعناها الناعم.

وقد تم اختبار، والرازي، ومن تلاهم وصف عدد كبير من المركبات الكيميائية، ومن بينها أكسيد الزئبق، والزنجفر، والزنك، وبنزات الفضة، والنشادر كلمة عربية أصل. والزاج الأزرق، والحامض النتري، ومحلول البوتاسيوم، ومحلول الصودا، ومستحلب الكبريت، ومستحلب الكلس الكبريتي، وأشياء أخرى.

وقد تحصلوا على الكحول النقي الذي استعمل في تحضيره، ومروا بالأحماض والقلويات، وقد وردت هذه المواد في كتب الكيمياء، كما عرفوا من عمليات التقطير، وتحضير بعض المركبات الكيميائية الأساسية، كالسكر، والصعيد، ومرح معدن الزئبق، والنشر، والكلس، والمصغية، والتصعيد. بحيث فرقوا بين التقطير المباشر بواسطة الحمام الرملي أو المائي

ولاحظ هذا العرض، وضع صانعو الروح السوريون والمصريون، الذين تصرفهم، بتوجيهم الرفيع في تكوير الروح بواسطة المنع، وفي صنع العوامل المشهورة لشرح الأشكال التي يريدون. ومن هنا وضعت صناعة الروح قدمها بواسطة المصنعين العرب في هذا المجال، وعرف بتحضيرها غير مقهود وروبرت القرطبي، والجلدكي الذي كتب رسالة الروحية تمثل حدثاً كثير السبع مصنفاً قبلاً وصدرت في المخطوطات بعربية تحت عنوان الروحية، وأنت لاحظت مع الأسف واللهفة، أن الذي جاء به العرب بالتصعيد، والتقطير لا يزال يعمل لاسم العربي حتى الآن.

وصفة التي عرف بها المتعلمون من قبل الكيميائيين، اصطلح عليه الأندلسي أبو القاسم الزهراوي (٤٠٣-٣٢٤هـ/١٠١٣-٩٣٦م) في تخصيص التقطير بشكل أساسي، ومن أجل إثبات الوزن النوعي مادة قيد الاختبار، يشير بكر بن حماد بخمس صحاف، إحداها تطفو فوق سطح الماء»[١١]

*** ولقد كانت براعة العرب في التجربة وإبداعهم بالمنهج التجريبي، سبيلهم إلى نقد الموروث العلمي القديم. .»**

فعلي بن عباس المجوسي الأهوازي (ت ٣٨١هـ/٩٩٤م) تقدم بموسوعته الطبية المخطوطات الأصلية، الكامل أو الملكي الذي يحتوي على كل ما هو ضروري من أجل تعليم في الصيانة. هيبوقراط كتب باختصار شديد، وكثير من تعابيره غامضة وتحتاج إلى شرح. وديسقوريدس ألف عدة كتب لا يحتوي كل منها إلا على جزء يسير من المادة الطبية، غير أن كتابه المعروف بالحشائش، كتاب الأعشاب، وهو الذي كتب واحداً شاملاً ومنسقاً لتعليم الطب.

أما ما يتعلق بي، فإني سوف أعالج في كتابي كل ما هو ضروري لتحقيق على

لصحة وعلاج المرضى ... الأمور التي يجب أن يعيش كل طبيب مخلص الذي ضمير حي...»

وفي الأندلس ألف خراج أبو القاسم بن عباس الزهراوي (٣٢٤-٤٠٣هـ/٩٣٦-١٠١٣م) أكبر جامعي الطب بقوم على التجارب الشخصية، وضع قصته شبيهة بقصة حجر الأساس لمستشفى أوروبية، ورفع الطب الجراحي الذي حقق تقدمًا ملحوظًا. كما وضع مستقل، يستند إلى التشريح العربي، في مصنف الاختصاصات الأخرى سواء بسواء»

* «وفي الأندلس، ألف الجراح بن زهر (٤٨٤-٥٥٧هـ/١٠٩٢-١١٦٢م) كتابه الرئيس» بسواء بخصة واتقنس» مرشد الطب. عرضه الأساسي تثقيف المتدربين من الجراحين من خلال قصص المرضى والأطباء المرئيين»

* «ومخطوطة بن زهر» حول الخصية والحنرى» أقدم نص في أوروبا حتى القرن ١٩»

* «إن العرب هم الذين أدخلوا الصور والرسوم على أعمال الأقدمين، التي كان يكتنفها الغموض في وضعها المتفكك.

وهذه شهادة باعتراف جماعي من أرخ للطب. ولقد أعطتهم أهمية وهو مرتبط معرفته اليوم «الأفضلية كأساتذة، وأخذت عنهم معارفهم الطبية، أكثر مما أخذت من مصادر اليونان المشوشة المحدودة».

* «يقول ابن أبي أصيبعة العربي (٦٠٠-٦٦٨هـ/١٢٠٣-١٢٧٠م) «إن القاعدة التي يجب أن تستند إليها دائمًا، هي أن يرهن تامًا، أخذ بطريق النقل، يسعى أن يخضع للتعديل إذا ما اتخذ موقفًا مناقضًا مما يشير إليه إدراكنا الحسي» «ويقول ابن البيطار (٦٤٦هـ-١٢٤٨م) «كل ما كتبته هنا نابع من تجربتي الشخصية. أو من تقارير أمثال هؤلاء المخلفين، الذين نعرف عنهم أنهم كتبوا ما وجدوه ثابت من خلال التجربة الخاصة»[١٢].

* «ومما لا سبيل إلى تجاهله، عدد الفلكيين العرب الذين لم يسبقوا خلف الاعتقاد لسائد الأعمى، الذي قابلت به أوروبا في القرون الوسطى، أمير الفلك الهيبي

بطليموس، بل أعادوا النظر في النتائج التي توصل إليها من خلال المشاهدات الجديدة والحسابات والنظريات المستحدثة فحسنوها، وصححوا الأخطاء، وتجاوزوها في بعض المسائل.

لقد وضع [illegible] بين أيدي العرب عصر جديرة للقدس، عبر بها سرعان ما عجزوا عن سد متطلبات متنوعة بمعلومات التي يحتاج إليها العرب لأغراض العبادة اليومية ولكونهم يمشون عربي خطوط، وسكنوا مكتبة مهرة، فهم يسعون دائماً إلى تحسين، ويجرون تعديلات، ويكررون في حدة، ويطورون في أساليب مشاهداتهم، وقد [illegible] بهم بحر بكمال، بينما يأخذها الغرب عنهم، ويستعملها على صورتها دون إدخال تعديلات عليها حتى عصر ابتكار التلسكوب. وفي هذه الأثناء عرف العرب مرصد [illegible] في مشاهدة لا غنى عنها، ومن أول من فعل لأمراء بهوة وصلاح الدين، وعندما رحلت [illegible] بهم، ومن أشهر هذه المراصد: المرصد الذي بناه المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م) في بغداد وفي سامراء وفي دمشق ومرصد تعريز بناه (٣٦٥ ـ ٣٨٠هـ/ ٩٧٥ ـ ٩٩٦م) الحاكم (٣٨٦ ـ ٤١١هـ/ ٩٩٦ ـ ١٠٢٠م) في القاهرة ومرصد عضد الدولة (٣٣٧ ـ ٣٧١هـ/ ٩٤٥ ـ ٩٨٢م) في بغداد ومرصد [illegible] شاه (٤١٥ ـ ٤٨٩هـ/ ١٠٢٣ ـ ١٠٩٢م) في نيسابور، ومرصد أولوغ بيغ في سمرقند.

*لقد كان البيروني (٣٦٢ ـ ٤٤٠هـ/ ٩٧٣ ـ ١٠٨٤م) أحد أهم علماء العرب في عصرهم. ولقد ذهب في ابتلائه ـ [اختياره] الناقد لعقيدة الهلينيين الفلكية مذهبا بعيدا، بحيث رفض صورة العالم البطليموسية الشاملة للشمس الدائرة حول الأرض. وفي رأيه أن الشمس ليست هي المسئولة عن تناوب الليل والنهار، بل الأرض ذاتها التي تدور حول محورها مرة في اليوم، ومرة تنتقل فيها حول الشمس في عام. فظل البيروني يقف وحيداً أمام المعتقد السائد حول فكرة «الزحزحة المقدسة».

*أو كشف [illegible] الشمسية على يد ابن رشد (٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ/ ١١٢٦ ـ ١١٩٨م) الذي أقدم هو وجماعة من [illegible] (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) على رفض العقيدة البطليموسية، وعلى تقديم تفسيرات أخرى للمحيطات الكواكب.

وعرف عن ناحية الأندلسي (٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) [illegible] الشمسية [illegible] في نحو

لديه واحدة، وهي ذاتها، سواء منها ما يحرك الكوكب أو التي تجعل سرعته تسقط من شجرة، وهو الرأي الذي يجابه الأرسطوطالية اليونانية، والذي يؤثر تصنيفه فيزيائه على حسين(٥٦٤ ـ ٦٤٢ م) عن طريق علاقته التي يفترض وجودها بين قوة المحرك والمقاومة في الأجسام المتحركة».

* «ثمة أخرى لعلي بكر بن سرقلي(٤٢٠ـ٤٨٠هـ/١٠٢٩ ـ ١٠٨٧م) في طبيعته. ما لا يقل عن ٤٠٢ مشاهدة فلكية أو من برهن على أن تعبير بعد الأرض والشمس التي اعتبرها اليونانيون ثابتة، ملائمة (لتقدم قد تعدل الشمس والقمر) وقد قدم جيرهارد كريمونا، مترجمه مؤلف بسرقلي هذا إلى اللاتينية، وعرف باسم المؤلف Amzache وفي عام ١٥٣٠م استشهد كوبرنيكوس (١٤٧٣ـ ١٥٤٣ م) في كتابه الذي نُشر بالفرنسية تحت اسم De Revolutionibus، بهذه الكتاب. وبكتاب البتاني[٢٤٤ـ٣١٧هـ/٨٨٥ـ١٩٢٩م]..

*«وقد حدث نصير الطوسي (كما جاء في ٦٦١هـ/ ٩٧٦م) عن كوكبة تحتها صحيحة ثابت عجلة في عام ٨٥٠م «أقدم مرصد في سامراء شاهدت جهاز كشف على مائة عشر سنة وسكنكت لأحمد محمد وحمد بن موسى، وهو شبيه شكل الكرة، وتصور تحتوي ورسم لبروج، وتعمل صفحة الشمال، وقد فتن في سمت تعبية لحم، حتى صورته في نفس تحتها من جهاز في موضع الذي يعتبر تحت خط نقرة التي تمثل محدب رؤيته فيه، صنعت في لطبيعة صورة نفس الكوكب، أشرقت صورته أيضاً على الجهاز فوق خط الأفق»[١٣].

*«على أن أهم من لمسند المصورون سحث و تحريرة الذي تعرب، هو برصدت، قد رأت كيف رسي خوارزمي لأصول الصيغة بروحانية التي تكمن من جميع العصبيات حسبته، بكنه لا يكتفي بمشاهدته فقط، إذ يضع من بدي وملائه مشاهد [جهاز بدوياً لا على عهد الخبر وعلم بعد لات] الذي يسمح بموجب هذا العلم بسحراج بعدد صحيح، بعد دو جد و كثر من بحاهيل وقد ألف كتابه في ٨٢٠م، وهو كتابه الثاني الذي دخل به التاريخ.

وهذا مؤلف البتاني لأهميته، الذي دخل فيه خبر تصمن بصفة بصورة لأولى، حتى

بتقدير كبير في العالم العربي، وأعاد إلى أوروبا أهمية غير عادية. ولقد تتلمذ ليوناردو بيزا (أواخر القرن ١٢ وأوائل القرن ١٣)، ورياضي يقرون بوسطى الكبرى، على يدي الخوارزمي.

وعمر الخيام (أبي الفتح عمر بن إبراهيم) الذي عاش في مصر ومخصوصات سمرقند بين سنة (٤٢٨هـ ٩٨٠م ١٠٣٧م) والخوارزمي نهل بيرون دو معرفته حول المعادلات من الدرجة الثالثة، وتبع الخيام دروبه على يد عمر الخيام (٥١٧هـ ٢٣ م) الذي اعتبر ثورة في بطر الرياضيات قرونا سبقته.

ولقد أصبح العرب، أيضاً، المؤسسين للرياضيات الكروية، وهي فرع معلوم لم يكن له وجود عند اليونان. ووضع العرب خيب، ومصريات نمساوي، والتسمع الأساسية لعلم المثلثات، وبذلك يكونون قد أحرزوا تقدماً غير معروف حتى ذلك الوقت، فقد تمكن أبو الوفاء من حل مسألة مرسومة في محدب الكتلة والملاحة البحرية وتسع الأرضي».

«إن نصيرالدين لم يعرف سوى وجهين من أوجه الاسطرلاب الكروي، وعلى الرغم من أن بقي الضوء على المرسومات في الأوجه وجوه أخرى صنعها العلوم بعدئذ، وهكذا يعرض خوارزمي الأربع والثلاثين مسألة، ثم لا يبث حتى أن يتم العدد حتى الأربعين».

«وعلى حين كان علم الحساب عند اليونان يعني التسلية بالتصرف في الأعداد، والترف الفكري المحض للمولعين بالتأمل، فإن الفلكي والحسابي الرقاش يعلم الحساب بحوافزه أعمى على سلم الكمال. وفي كتابه «مفتاح علم الحساب» قدم العلم مزاجاً بعيداً عن شكل من الحساب، وذلك حين استعمل كسور شخص (علم) الكسور بالخط المرصوف، وعلم الحساب بالكسور العشرية، وهو يخ فكان سابقة لبيكر أو بائع الخيب الذي توصل إلى نتيجته من دونه في عالم اليوم، ولا كان حساب الدوائر قد تمت ممكناً بدونه كذلك»[١٤].

«يقول ابن الهيثم «وليس شعاعٌ يصادر العين هو الذي يسبب الرؤية. وعلى الأعلب، فإن شكل الجسم الملموس يشع في العين، ويستبدل بجسمه الشفاف».

ويصف وصفاً دقيقاً عدسة العين، والمنحنية، والإفرازات، وأعصاب الرؤية التي ترسل انطلاقاً من الأجسام انطباعات الحواس.

هل تشأ هذه صورة مصغرة بسيطة حق الأصل؟ ... لا يحسم مشكلة بهذه السهولة، فاستنادا إلى التجارب المختبرية، يتوصل الدماغ إلى الانطباعات الحسية الملتقطة في حالة الراهنة - إلى استنتاجات عن بعد وإلى شكل الجسم المدرك.

ترى، ما الذي جعله يتوصل إلى هذه النتيجة حول طبيعة وصفة الأشياء وتحولات الجوهر؟ فكونه فيلسوفا، واعتماده على مشاهدات كتشف ... سائر لأجزاء السماوية توسل ضوءاً دائياً، بينما القمر وحده يستقبل نوره من الشمس ... وهذا فيتمس من ذلك تصوراً جديداً عن طبيعة الأشعة المنبعثة من كل موضع في الجسم المضيء تجري مستقيمة في كل الاتجاهات. وقد برهن على ذلك الشيء في كل تجربة بدقة حسابية.

وفي تجربة أخرى جرى قياس كل مجالات منظورات الجسم الواحد حتى حقول الرؤية ... وفي كل وقت، وبينما كان الناس في ألمانيا يبذلون جهدهم، عند الخسوف لطرد العون الذي ابتلع القمر، عن طريق العويل والصخب، في ذلك الوقت، كان ليبنتس على ليل يتساءلون كيف تحدث ظاهرة الخسوف، طالما أن القمر ذاته لا يضيء، بل يستقبل ضوءه من الشمس التي تكسره، ويظهر مع ذلك ظلا، مخروطيا، جزئيا أو كلية؟ وعلى الفور كوّن مصادر استيحائه، ودرس في ضوء أشد اختلافات التجربة تباينا كل شيء يمكن أن يكون مفيدا في كتابه الجوهر طبيعة التظليل، كما أحب أن يسمي كتابه. وقد سجل سبقا كذلك، حين جرب بآلة تصوير ذات ثقب واحد، وهو نموذج لأقدم آلة تصوير دلته على انتشار الأشعة الضوئية المستقيم. وقد كان يطمئن إلى نظره. وقدمت له العالم مقلوبا من خلال انعكاس الصور. وفي هذا الصدد استخدم نفس الترتيب الذي لا بد وإن كان بالمصادفة، استعمله ليوناردو دافنشي فيما بعد. وقد عثر على تعليل لانكسار الضوء الذي يحدث عن طريق الوسائط كالهواء والماء والزجاج، وحسب من بعدها ارتفاع الغلاف الجوي الأرضي بما مقداره ١٥ كم تماما، وهو أمر يدعو إلى الدهشة، وأعمل الفكر في نشوء هالة القمر، والعسق، وقوس قزح، والتي فشل أرسطوطاليس في إعطاء تفسير فيزيائي لها من ذي قبل، وسلط معرفته كذلك على الأجهزة البصرية.

لقد توصل الكندي (١٨٥-٢٦٠هـ/٧٩٦-٨٧٣م) في كتابه ٩ معرفة سبب تحريه على امرء الخرقة أن ابن الهيثم، فقد درس الانعكاس وحسبه في المرآة المحرقة (كرة ومقطع مخروطي) وعثر على قوة تأثير الكشف وقد فحص تأثير الحسن و بتصحيحه المرآة المحرقة فقط، بل وبواسطة عدسة مجمعة بكبرة الصنع وابتكر كذلك أول نظارة للمطالعة وقد برهن على تفوقه بهذا كمبصر ومجرب في التجارب التي أجراها على سير الأشعة داخل كرة وهي تجارب ما تزال تُوصل تنفيذها بعقله نظيرٌ له- كمال الدين- من بعده بثلاثمائة سنة.

إن تأثير هؤلاء العلماء العرب على الغرب تأثير هائل. لقد طغت نظرياته الفيزيائية- البصرية، على العلوم الأوروبية حتى العصر الحديث. وعلى العلوم البصرية لابن الهيثم قامت كل بصريات الإنجليزي روجر بيكون (١٢١١-١٢٩٤م) حتى بولونيا (فيتلو) والإيطالي ليوناردو دافنشي (١٤٥٢-١٥١٩م) وحتى يومنا هذا. فمن المسألة البصرية الحسابية المعقدة التي حلها ابن الهيثم المعادلة من الدرجة الرابعة، التي تغشى معظم البصريات الكبرى في كل عصر، على نحو الآتي تقريباً حسب تعقيده في مرآة أو شكل قد يُعكس عليه جسم من نقطة محددة في صورة معينة، فإذا تحدث مسألة تسمى باسمه (مسألة حازم).

*إن مؤلف ابن سينا في المعادن- وهو الذي ذاع صيته كطبيب ورياضي وفيلسوف- كان مصدراً رئيسياً للجيولوجيا الأوروبية حتى القرن ١٨.

*أما شعب عمري الذي أحب سفر، فقد حج فيه ماركو بولو (١٢٥٤-١٣٢٣م) عدداً لا يحصى من الجغرافيين، منهم الإدريسي (٤٩٣-٥٦١هـ/١١٠٠-١١٦٦م)- من سبتة الذي وصل إلى صور حيث الجزيرة والبحر الأسود في القرن ١٢ وصنف في ذلك ما يقصد من الملاحظات ومخططات الخرائط والتقديرات الحسابية في موقع جغرافي يقع في سبعين خريطة، استغرق إعدادها خمس عشرة سنة. كان يشاهد الكرة الأرضية والبحري بعينيه هو، وفي عام ١١٥٤م قدم للملك النورمان في صقلية خريطة للأرض ذائعة أصبحت من بعدُ شهيرة، صنعها من الفضة، حدث ذلك فيما كانت خرائط العالم في أديرة أوروبا توضع بحسب الإنجيل، يطوق فيها البحر اليابسة، وتقع الجنة في منتصفها.

و مسعودي(٣٢٤هـ/٩٣٦م) من بغداد ... ي خمسة عشر عاماً حتى تم رحلته لاستكشافه. و ... ي كتب ستند إليه مشاهداته خاصة في بلاد ... فارس وسيلان وحتى إسبانيا، موسوعة في ثلاثين مجلداً ... فقد وصف بالأمس، و ... وصف مصور صحيح لعادات الشعوب

و ... بن بطوطة(٧٠٣ـ٧٧٩هـ/١٣٠٤ـ١٣٧٨م) ... الذي استمرت رحلته ... ثلاثة وعشرين سنة، ... استكشف فيها شمال ... وسط أفريقيا حتى المحيط ... وشبه الصغرى، والصين وروسيا، وإسبانيا. ..»[١٥].

* * *

*«لقد أصبحت المصادر الإغريقية ... العربية هي ألف باء العلم، وارتفع الاسم العربي في ذلك الوقت إلى درجة أنه لكي يفسح الأطباء والكيميائيون ... لصيدلة والفلاسفة الطريق أمام نتاجهم الفكري في الأوساط التخصصية، كانوا يطبعونه بالاسم العربي ـ اللاتيني لابن سينا ومسويه الابن أو جابر، بحيث تعمل على شد اهتمام المتعلمين ... ولقد ظلت الكتب المدرسية، ككتاب القانون لابن سينا من المواد المدرسية الراسخة في الجامعات الأوروبية حتى منتصف الثاني من القرن ١٧».

*«ومن يدري ما كان كولومبس(١٤٥١ـ١٥٠٦م) قد عثر في مخطوطة على الخريطة العربية الأفضل في نظره؟».

*«إن العرب سبق واستعملوا البوصلة بالصينية في القرن التاسع. ... وقد ورد في هذا الصدد ترجع إلى سنة ٨٥٤م.

"... أصبح ... حيث يتم بعد ... المحيم على الأحواض. غرست ... برة في قشة أو ... الخشب، ووضعت في ... طشت فيه ماء، وحركت بواسطة حجر مغناطيسي نحو ... بحيث يتجه ... من القشة نحو ... ي وضع بطيء الشمال والجنوب. وقد جرت العادة في المحيط الهندي على أن يستعين ... الأدلاء بقشة قطعة من الصفيح بها شكل السمكة، تصير ... س ... لها أثر توجيه وهي مضحى باتجاه السمك».

*«وفي ... كتب العربية اسم وجود أسنحة متحركة، البوصلة المتحركة المحترقة ... التي تحرج نارا لها دمدمة مثل الرعود».

وهذه المخطوطة تحتوي على ٤٨ صفحة حجم كل منها ٢٤٩ × ٢٠٥ مم، وكان ذلك بخط قلم يسمى «عربي مشرقي» حسبما أورد المقري. وفي سنوات ١٣٢٥م، ١٣٣١م و١٣٤٢م استعمل المغاربة هذا النوع من الخط في إسبانيا، وتكون من تسعة جيوش شاركت لإسبانيا مدعمة من قبل المرينيين والإنجليز».

* «ولقد كانت المعاهد العربية مراكز تعليمية، ومؤسسات معلقة، مقسمة إلى أربع كليات، وعلى رأس كل وحدة منها عميد. ولكل كلية عدد متماثل من الطلبة، هنا ٧٢ وهناك ٨٢، ومن لمنح الدراسية، لأن حصص لدراسة بلا مقابل مادي، وكان المدرسون يتقاضون مكافآت من الخلفاء أو الموقوفين. هذا في الوقت الذي كان يتقاضى فيه كل طالب دينارًا واحدًا في الشهر بالإضافة إلى القرطاسية واللازمة.

وكان الطلاب الوافدون من جميع الجهات، والمنتمون على مختلف الديانات مختلفة، يكونون أربع فئات قومية في مساكن منفصل بعضها عن البعض الآخر.

وفي مدارس الأندلس، سُمح أيضًا للفرنجة بالدراسة، وصُمِّمت الأبنية المشيدة على شكل مربعات للإقامة الداخلية، والخدمات، وفصلاً عن ذلك فقد كانت تحتوي على عدة قاعات للمحاضرات، وصالات للعمل، ومكتبة كبرى، وبها تلحق هنا وهناك معاهد خاصة. ويمنحُ العميدُ المرشحَ بعد إجراء امتحان له، إجازة في التعليم، وبذلك يتحصلون على «البكالوريا» كلمة عربية أدخلت إلى اللاتينية. على ذمة الراوي - بتخويل من السلطة بتعليم شخص آخر..

وإن طبيعة أكاديمية لفنون العربية هذه، لم تكن سوى نسخة عن العربية الأصل.

* [illegible] (٣٥١ - ٣٠ ١١م) جرى [illegible] الى طبيطلة، وحبب [illegible] لصنعة، و[illegible] لعلوم، [illegible] بمكتبة [illegible] لأجهزة، و[illegible] لعقول المبتكرين التقنيين العرب، و[illegible] لأنواع [illegible] البصريات، فضلا عن [illegible] لصنعة، [illegible] لمساعدة [illegible] وقدمت [illegible] بصورة واضحة دفعا مؤقتا أحيانا، وأثرت تأثير تدريجيّ في أحيان

أخرى، فأقبل الأوروبيون بجمال على المادة العلمية الجديدة، وأصبح لزاماً عليهم أن لا تملى عليهم الأمور من فوق إملاء. لقد صادف البذار العقلية القادمة من العالم الآخر -[العربي]- استعداداً داخلياً، وهنا وهناك فقط وجدت التربة المواتية المناسبة للطلوع».

*«لقد هاجرت أقواس المساجد الإسلامية، إلى الكنائس القوطية في شارتر وريم وكولون وسالز بوري».

*«ومن أكبر إنجازات العرب في حقل الكيمياء شهادات عدد لا يحصى من المصطلحات المستعملة حتى وقتنا الحاضر، انتقلت إلى لغات أهل الأرض من المفردات العربية، وعلى رأسها تأتي كلمة كيمياء، والأمبيق، والكحول، والبنزين، والبوراكس، ودروجري، والكسير، وفاليوم، ونطرون، وصودا، والكوم، وشلاق، إلخ..

وتفصل مناهجهم العلمية، طوروا استناداً إلى رأي المؤرخ الإنجليزي «كاستوم Custom» الكيمياء حتى هذا المستوى، بحيث إن اكتشافات الكيمياء العضوية كانت مضطرة لأن تعيدها إلى المستوى الذي رفعها إليه العرب».

*«لقد أثرت العلوم التجريبية العربية تأثيراً أشد من مجرد نوع من شرارة انطلاق لخطة جاهزة للعقل الأوروبي.

.. لقد أمدت الاستعداد الموجود في العرب بالمادة المشتعلة المفجرة، وأيقظت الاستعدادات العقلية التي كانت تغط في سبات عميق، وأطلقت العنان للقوى التي كانت لا تزال متخلفة، ووضعت التطور العلمي العملي لأوروبا في المسار الصحيح..»[١٦].

* * *

-٨-

انتصار الفكر الأوروبي على النظرة اليونانية والمسيحية للطبيعة

«وبعد قرون من التقلب في ازدراء الطبيعة، والتمرغ في وهدة الإحساس بالذنب، بدأت إرهاصات الإعجاب، وتفتحت الأزاهير في الشعر أولاً، مؤذنة بنفس الصعداء، بالإعجاب من معجزات الخالق، وفي التفتح الصادق من الروضة الإلهية البدنية، ولعل أجملها ما نجده لدى فرندريك روبسرخ وفرنسيسكو فون ألبري وغيرهما كثيرون. كما أن أسلوب الكتابة لدى الفلاسفة، الذين اقتبسوا عن أريوجيا مبدأه، أخذت هي الأخرى في التفتح والتوهج، وتحول أريوجيا إلى قدوة، وطرقت مؤلفاته آذان أوروبا كلها..»

«لقد أطلق «أدلهرد فون باث» [١٠٩٠-١١٦٠م] زفرات من أعماقه بعد رحلته في العالم الإسلامي، وعودته إلى وطنه برنسيون. فكتب في رسالته [أسئلة إلى الطبيعة] مقارناً بين موقفين من الطبيعة:

«إننا إن تهاونا وقصرنا في تفهم أسرار هذا الكون الرائعة، وحماية وجلالة البديع الحكيم، ونحن نعيش فيه، فإننا نستحق كل الاستحقاق أن نطرد منه طرداً، لأننا نكون أشبه بالضيف الجاهل حرمة البيت وكرامته الذي أحله إياه المضيف.

لقد أتيح لي أن أتعلم شيئاً من الأساتذة العرب الحكماء عن الانقياد للعقل، أما أنت فإنك تتبع صورة فرضتها عليك هيمنة مستبدة، كأنك مقيد إلى رسن، مأخوذ بمقودك.. ألا فلتعلمن أن الماشية التي يؤخذ بأزمتها إلى أية وجهة، إنما لا تستطيع أن تميز أو تستبين إلى أين ولماذا تُقاد، ولا تملك إلا أن تتبع الزمام الذي يوثقها، كذلك فإن «سلطة المؤلفات» تقود عدداً ليس باليسير منكم، فأنتم أسراها المكبلون، منقادين لها كالدواب بسرعة تصديقكم الحيوانية».

* وقد عمل «نيقولاس فون كويس» [١٤٠١ م] على رفض وتعويض كل تصورة ليوسه و لاخمسة لمصبوعة و بعلم، تلك التي كانت سائدة ومقبولة من عه قش، و لتي عارضها ديم منذ سنة ١٢٧٧م. وقد أثار هذا الدعوى العالم، الذي كان يُنظر إليه على أنه شرير، وضيع، ملوث، مدعاة للازدراء والشك، وحتى اليوم و بقاء لم يعود مؤثرين على الفيزياء، ولم تعد الأرض أحط وأنجس بقعة في الكون كما كانت تعتقد الدعوى العدلي. وقد أثار «نيقولاس فون كويس» هذه الزوابع عن تعلم لدى جرأة نيوتنيون والإنجليزي في شدوت، وبلغة يستطيع العرب في تلك العصور عن طريقه لتعليم الكنائسي».

* «وبالنسبة ليوناردو دافنشي [١٤٥٢-١٥١٩م]. . فمن أي معين يا ترى نهل هذا المفكر ثاقب النظر المتعدد المواهب، ليشكل حدثا عالميا؟ .

إن الطبيعة، لديه، ابسط للربوبية التي تتسع لكل شيء، وهي في كل شيء أيضاً. إن الله هو طبيعة سائر الأشياء، وبفضل الحضور الإلهي هذا، فقد أصبحى ذلك ممكناً للإنسان أيضاً، ألا وهو التعرف على الطبيعة الإلهية الحية

وفي البصريات، كما في الرياضيات استند ليوناردو دافنشي على المؤلفات العربية الشهيرة لابن الهيثم الموجودة في فيتورسا، وعلى نظريته في الانعكاس الصوتي، وتجاربه على عدسة العين والعدسات المكبرة، وبالكاميرا ذات الثقب

وفي علم طبقات الأرض، كان لعالم بن سينا قد سبقه في اكتشاف تشكل جبل، ولم يتوقف عند تجربته وحدها، بل عبر عن ذلك بكل معرفة «يجب أن ننطلق من التجربة لكي نتقصى القانون»

ورفض - كذلك - القول بتفاهة العالم وعزلة الخلق الأبدية»

* «وقد كان كلٌ من جاليلي [١٥٦٤-١٦٤٢م] ونيلانت [١٨٥٨-١٩٤٧م] على وعي به بأن الكون يتجاوز، وبلا حدود قوة إدراك نظريتنا إليه وفهمنا له

ولكن المعجزة الرائع الذي قدمه لنصر العلمي، فقد درّس جاليلي لإخضاعه لتجربة العلم، بحيث تقصى بتقنية التجريب والحساب الرياضي بتحفيزه، وبالاستعداد عن كل تحديد للجوهر

... المعرّف عليه هو حقيقة، يقوم على المعنى الذي لا يستطيع ... العلم الطبيعي هذا على (رأيه) بحدوده، وبالاعتراف بحدود المعرفة البشرية هذه ... يعود فكره (لجهود الفيلسوفين) «لوحيه» «كوسا» على عرش حدود معرفة العقل بالفيلسوفين «كنت» [١٧٤٢ ١٨٠٤م] و«جوته» [١٧٤٩ ١٨٣٢م] ... بالمعرفة حول محدودية الحقيقة، يصل العقل الأوروبي في كل الأزمان المعاصرة، لكي يتعرف معًا على الوجود الحقيقي شيء ... على سبيل المعرفة، التي كتشفه، فيه، المتضمّن في كل ما يتسنى معرفته..!

«إن ستكتشف بصيغة لم بعد ... بسبة للإنسان الأوروبي ... وكلمة (شموس) قد ... من بعد عقبة، سبباً للانصراف عن ... ولا للانحراف، ... وعلى الدوام طريق نحو ما هو مجهول، نحو الربوبية

ومن المعروف، أن ... مع وجهات الإنسان ... [١٨٧٩ ١٩٥٥م] قبل وفاته بوقت قصير:

«إنه الإحساس الأعمق والأروع، الذي نحن عليه قادرون، منه وحده يبدأ العلم الصحيح. ومن كان هذا الإحساس غريبًا عنه، هو الذي لا يستطيع بعد أن يعجب، وأن يفرط في خشية، فهو الذي يُعد ميتًا روحيًا. لذا فالمعرفة أن يوجد بحق ما هو غير مكتشف، وأن يتجلى بصفته أسمى حقيقة وأسطع جمالاً، بشيئين للذين لا يتسنى لك منهما سوى علم ضبابي - وهذه المعرفة وهذا العلم، هما جوهر التدين حقًا»

*«إن الطبيعة، لدى جاليليو، ليست قابلة للتجربة، لتتعرف لتحسب فقط، بل هي أيضًا قابلة للاستعمال، وللتسيير وللإفادة.

إن كتاب الطبيعة، الذي هو في ذات الوقت كلمة الله، هو تعبير وانبساط للألوهية، مكتوب بحروف رياضية، وفي سائر ظواهره تتجلى الربوبية بأوضح صورها وأشدها إدراكًا، وبالنظم الرياضي السائد، الذي يرى الباحث الطبيعي نفسه ملزمًا بقراءته»

*«ولقد قال «جوردانو برونو» [١٥٤٨ ١٦٠٠م] الذي عُومل كمشرق عن المسيحية. وملحد.. والذي قضى سبع سنوات في السجون تنفيذًا لحكم محاكم التفتيش.. لقد قال

«إننا نبحث عن الله في القانون الطبيعي لثابت غير المستقر، وفي الوجدان المفعم بالحشية، ونبحث عنه في مطلوع الشمس، وفي جمال الأشياء التي تنطق من حضن ساعدة لأم لأبنائها، وفي إطلاله النجوم(طلعة) التي لا تحصى، التي تتلألأ في حاشية السماء، ولا تقاس».

* «ولقد اعتبر «روجر بيكون»[١٢١١-١٢٩٤م] دراسة اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية أمراً لا مناص منه من أجل تفهم أفضل للإنجيل المنقوط، ومن أجل دلالة للنقط وترجمات أرسطوطاليس وسائر علماء المسلمين. وأصدر رؤساء الكنيسة في بعض ملاحظه مرة في السنة عشر سنوات من أكسفورد إلى باريس وصدر عليه الحكم بالسجن سنة ١٢٧٨م، ثم بالسجن مؤبداً في داخل حجرته سنة ١٢٩٤م، بعد خمس عشرة سنة قضاها في السجن».

* «إن «سجن» من مرادفات «لدى رفع إلى ابن رشد [٥٢٠-٥٩٥هـ/١١٢٦-١١٩٨م] في جميع مؤلفاته ولدى تنفيذ للحكم الصادر ضده بشجاعة، و سجنه بسبب، فقد قضى ١٥ سنة بسبب من عمره في سجن لبلنا، ومات فيه محروقاً».

* «إن كمبر» [١٥٧٠-١٦٣٠م] هو الشخص الذي كان يسلك جزءه المقسمه و يشجعه للاصحة بمعتقداته الموروثة عن أرسطيد جزء منه مجوم به يرى، أن الذي يحرفه شيء على سجن. أن الإصحة الذين قرب به يتكونون بعرض في القرن ١١٠٠».

* «وإنه من الخطأ بكلمات الفيلسوف الشاب «كانت» [١٧٤٢-١٨٠٤م] بناء حكم عام أن نعتقد بأن العلم التطبيقي اعتمد، كشرط أو نتيجة محتمة، إطلاق المادة، وميكنة الحياة الإنسانية، ووداع الله من هذ العالم وداع لا لقاء بعده». بل على العكس، فقد كان ممكناً فوق أرضيته حكمة دينية جديدة لحقيقة الموقف واتجاه موقف. من المادة تنزع به الشوائب التي مازالت عالقة بها من قبل «توما الأكويني» [١٢٢٥-١٢٧٤م]، وأن يرتفع بها إلى مرتبة برهان إلهي منظور، مدرك، يمكن التعرف إليه، كسبب لكل ما هو صغير وكبير، لكل ما فيه حياة وما ليس فيه، ولكل القوى المؤثرة الموجودة في الطبيعة والانتظام الداخلي. وهذه الوحدة الداخلية للكون كله هي الفرضية الأصلية لكل المعرفة العلمية في الفهم الأوروبي».

* «يقول «آرثور ستانلي أدنجتون» [١٨٨٢-١٩٤٦م].

«إن الفيزياء الحديثة تقودنا بالضرورة إلى الله، ولا تبعدنا عنه، ولم يكن أي مخترع للإلحاد عالمًا طبيعيًا. بل كانوا جميعًا فلاسفة، أنصاف معتدلين جدًا».

* ويقول «ألبرت أينشتاين» [١٨٧٩ - ١٩٥٥م]:

«على كل باحث طبيعي متعمق، أن يكون على مقربة من نوع ما من الشعور الديني؛ لأنه قد لا يستطيع أن يتصور بأن العلاقات الدقيقة الصادرة التي يخشاها، قد صدرت عنه بادئ الأمر. ففي الكون المفهوم يتجلى فهم تامٌّ غير محدود. إن التصور الجاري القائل بأنني منحد ينطوي على خطأ جسيم. من يستخلصه من نظرياتي العلمية، فقلما يكون قد أدرك غايتها».

*«وعند الفيزيائي «هايزنبرج» [١٩٠١ - ١٩٧٦م]

«الله موجود في العالم، وفي أن إنه يبرهن عن ذاته في مركزية وانتظام سائر الأشياء وكل المستجدات، كما أنه خلف كل الظواهر الصلبة الملموسة، التي يبهر الإنسان من مأمنه قوته، والذي لا يمكنه الشك في حقيقتها» هذا التماس المتبادل بين العقيدة والمعرفة..

لقد كتب «هايزنبرج» أيضًا يقول: «إن التقسيم الموضوعي، حسب تقسيمه، لأرسطو ليس كما يحق خاصة شيطانية، كما يبدو من خلال التكرار المتصل في نصوصي فقط غير أن الإمكانية الثالثة التي برزت إلى السطح بواسطة نظريه الكمية، يمكن أن تكون مثمرة، وأن تعد بالتكرار في حيز العالم الحقيقي».

*«إن العلم الصنعي لأوروبي كان ممكنًا فقط على أرضية إيمان مسيحي خاص بالطبيعة، وعلى مفهوم لها لهي لعبرى عادة، التي، لأكثر يقول توفر لأكويني عليها، بأنها مصدقة بكل ما يحصر على سبيل المثال، بل هي مسقفة بالأساس لأنها لهي المصور، المحسوس، الذي تتحقق وحدته وتسخم في شتى الصور، وتتحسم «وتجمع لتتحد انطلاقًا منها لتتوحد»[١٧]

* * *

*«إنها خديعة الاعتقاد بأن في مقدور العلم معرفة كل شيء، ونظرته للحقيقة على

أنها الكل في الكل. وبذلك فإن الحقيقة كلها، وجميعها، ما يتعرف إليها هو، ويمكن صنعها بالتقنية كاملة، هي تلك المخاوف والذعر، وانعدام الغاية والأمل، والاستسلام والعدوانية، والمعاناة والعنف اليومي، كلها جميعاً من جزيرة تلك الخديعة.

إن الفكر النهائي نفسه لا يصبح أبداً واقعاً، إلا إذا توحد في ضوء اللامتناهي. **إن العلم لا يدرك دائماً سوى جزء من الحقيقة**، والصورة العلمية وإن كانت مضيئة حقاً، فإنها مع ذلك صورة معنوية، لا تصرف النظر فقط عن النوعيات والصلات ذات الصفة غير السببية، كالتعرف إلى الحياة والموت، البداية، أو انعدامها، أجل وعن الإلمام بالشروط المسبقة الخاصة بها.

وحيث إنه لا يقدم حول هذه الأمور دوماً إلا بعض وجوه الحقيقة الكلية بحسب موقع المشاهد ووفق سؤاله، للسبب الآتي فقط؛ لأنه كنتيجة لتنوير المجالات الخاصة دوماً، فقد أبقى على فراغات عريضة لتحللها، وحتى ما قدم منها بشكل غير مباشر دون تنوير.

لقد سلط الضوء، بحيث إن ما كان قابلاً للإدراك رياضياً للحقيقة الموضوعية، قدم عن العالم صورة واهية ضحلة، يستلزم بالضرورة فهماً تجريبياً، في سائر مناحي الحياة.

لقد نظر إلى العقل بمثابة الآلة الوحيدة التي يحتاج الإنسان إليها، والمناسبة له لتسديد ما يفعل ويترك، وللتغلب على المستجدات التكنولوجية الآخذة في التعقيد.

إنه الأسر في بنى الفكر الثنائي القديم، انشطار الإنسان في جانبيات متطرفة، هو الذي أمد في عمر الأزمة، أو في اشتدادها.

«والزلزال الذي نعيشه اليوم نشأ في الأصل عن شق عصا الطاعة الذي أخذ في السرائد ضد الإله المسيحي الذي أصبح عمر جدير بالاعتقاد، كما شخّص «نيتشه» [١٨٤٤-١٩٠٠م] ذلك، من خلال استئصال الآخرة، التي جردت من قيمها كذلك من لدن المتنورين. والآن تحققت لعبة الثنائية من كل شكل»[٨].

❊ ❊ ❊

- ٩ -

أصول النهوض الإسلامى

*«عندما تحررت البلاد العربية من نير الاستعمار الذى جثم فوقها قرونا، أنفت نفسها - على اختلافها - بواجه متطلبات العصر الحديث، وأخذت تسلك سبلاً مختلفة كى تشق طريقها إلى العالم الحديث لتفسح لنفسها مكانا فيه، والأخذ بأسلوب حياة المستعمرين وحضارتهم الفنية، وأن يحتذوا سيرة السادة اللاحقين وحياتهم الناجحة، وطريقتهم فى العيش والتفكير، وعاداتهم، وما حققوه من إنجازات مادية ومثل أخلاقية، وهكذا يتأوربون كالأوروبيين، ويتأمركون كالأمريكيين، ويتروسون كالروسيين.

على أن ضد هذا الخطر الجديد، الذى بات يتهدد الاستقلال الداخلى بعد التحرر الخارجى، تداعت القوى على اختلاف تجربتها فى المعاناة فى ماضيها مع الاستعمار وشدة اغترابها، وأعلنت رفضها أن تكون مجرد تقليد أعمى للمدنية الحديثة الغربية.

إن تلك «الأصول» و«الجذور» التى ينبغى على العالم العربى أن «يجدها» ويتعهدها حتى «يشق طريقه إلى أمام» - والتى ذكرتها فى كثير من محاضراتى فى المغرب العربى كله - هى:

١- اللغة العربية.. فهى المفتاح الرئيسى إلى عالم الفكر الذاتى للعرب.

٢- الدين، بصفته المحور الذى يدور حوله وجودهم، فى كل ما يتعلق بأمورهم، ونعنى بذلك الإسلام النقى من العناصر غير الإسلامية، المنفتح على العالم، الذى لا يعارض التطور العقلى..

٣- وعودة الوعى، والرجوع إلى الهوية الذاتية، الذى يتطلب:

التنقيب عن الماضي الفكري المدفون تحت الأنقاض تماما، واستيعاب أسباب نشوئه، واكتماله واكتهاله، ثم تقهقره واندثاره، والخروج بالعبر والدروس اللازمة للانطلاق للمستقبل، فالعرب انطلقوا من قبل أيضاً من البداية، وكانوا آنذاك وسط حضارات تفوقهم فلم يترددوا في الأخذ عن أولئك الغرباء ما رأوه ضروريّاً لبقائهم، دون أن يحاكوا محاكاة عمياء، ثم واصلوا فوقه البناء بطريقتهم الخاصة، وبالوسائل التي أتاحها لهم بنوعهم المميز. وصاحب هذا تطويرهم لأساليبهم النابعة منهم، وهكذا غدوا أكفاء لخلق إبداع فكري جديد، قيم من الدرجة الأولى، منتم إليهم.

فالتعلّم من الماضي لبناء المستقبل حق مفروض. ورفض غلو التقوقع والانغلاق وغلو الانفتاح المطلق بلا قيد ولا شرط، المؤدي إلى الاغتراب.. هو شرط للنجاة من الانحياز لجبهة واحدة، الأمر الذي يتهدد الحياة..

لقد أعقب المرحلة الأولى التي تلت الاستقلال، والتي اتسمت - على جميع المستويات - باتخاذها الأنماط الغربية أو الأيديولوجية الروسية قدوة لها، انتكاس المسيرة وسرعان ما تمخض ذلك عن عدم الثقة بكل ما هو غريب دخيل، ورفضه، وبخاصة ما أتى من «الغرب» وقد ارتبط ذلك بإحياء الإسلام والرجوع إليه

إن الإسلام هو ولا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافاً. نقولها بلا تحيز، ودون أن نسمح للأحكام الظالمة بأن تلطخه بالسواد، وإذا ما نحينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه، والجهل البحت به، فإن علينا أن نتقبل هذا الشريك والصديق مع ضمان حقه في أن يكون كما هو..»[١٩].

* * *

الهوامش:

(١) سيجريد هونكه «الله ليس كذلك» ص٥٣ ـ ٥٥، ٤٥، ٣٠، ٢٠، ٢٥، ٢٢، ٣٣، ٣٤. ترجمة: د. غريب محمد غريب. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م.

(٢) المرجع السابق. ٤٠، ٤٣.

(٣) المرجع السابق. ص ٦٦، ٦٣، ٧١، ٧٢.

(٤) سيجريد هونكه «العقيدة والمعرفة» ص ٣٣، ٥٨، ٥٩، ١٢٤، ٢٢، ٣٢، ٣٤، ١٦٨، ٣٦، ٣٧، ١١١. وترجمة عمر لطفي العالم. طبعة دمشق سنة ١٩٨٧م.

(٥) «الله ليس كذلك» ص ٧٧، ٧٨، ٣٧. و«العقيدة والمعرفة» ص ٢١، ١٥٩، ٢٣، ٤٢، ٢٠١، ٢٠٣، ١٩٤، ١٨٧، ١٨٢، ١٨١، ١٦٧، ١٦٥، ٨٣، ٩٤، ٥٢، ٥٣، ٦٣، ٥٥، ٧٩، ٢٢٧، ١٩١، ١٩٢. و«فضل العرب على أوروبا» ـ للذات المؤلفة ـ ص ٢٧٤، ٢٧٥، ٩٠، ٩١. ترجمة: د. فؤاد حسنين علي. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م.

(٦) «العقيدة والمعرفة» ص ٢٤ـ٢٦.

(٧) «الله ليس كذلك» ص ٨٠، ٨١.

(٨) «العقيدة والمعرفة» ص ١٠٣ـ١٠٦، ١٢٦، ١٢٧، ١٥١، ١٥٢.

(٩) المرجع السابق. ص ١٥٨، ١٥٩، ١٠٦، ١٠٧، ١٣٣، ١٩.

(١٠) المرجع السابق. ص ١٢٤، ١٢٥، ١٢٠، ١٢١، ١١٥ـ١١٧، ١٢٠، ١٣٠، ١٦٥، ١٦٦.

(١١) المرجع السابق. ص ١٣٤ـ١٣٨.

(١٢) المرجع السابق. ص ١٥٤ـ١٥٧، ١٨٠، ١٧٠.

(١٣) المرجع السابق. ص ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٢٨، ١٤٦، ١٤٧.

(١٤) المرجع السابق. ص ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٣٢.

(١٥) المرجع السابق، ص١٤٠-١٤٢، ١٥١، ١٥٠.

(١٦) المرجع السابق. ص١٨٥، ١٤٩، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٠، ١٣٨، ١٣٩، ١٦٠، ١٦١.

(١٧) المرجع السابق. ص٦٠، ٨٦، ٨٧، ٧٤، ٢٠٨-٢١١، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٣١، ٢٢٥، ٢١٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٣، ٢١٩، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤١، ٢٤٠، ٢٠٦.

(١٨) المرجع السابق، ص ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٥.

(١٩) «الله ليس كذلك» ص ٩٥، ٩٦، ١٠١.

***

رقم الإيداع ٢٠٠٥/٢٠٩٨٧

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-09-1449-5

الدين والحضارة

• لماذا ابدع المسلمون فى الحضارة وعلومها المدنية والطبيعية، منذ القرن الهجرى الأول؟..

• بينما ادخلت النصرانية الغربية أوروبا عصورها المظلمة - عصور الجهالة العلمية والفكرية - لعشرة قرون؟!.. فلم تعرف أول فلكى - كوبر نيكوس - إلا فى القرن السادس عشر الميلادى؟!.. ومنعت الكنيسة نشر كتابه حتى القرن الثامن عشر؟!..

• ولماذا ظلت مؤلفات العلم الاغريقى والرومانى حبيسة الصناديق المسلسلة بالجنازير فى الكنائس والأديرة، حتى جاء الإسلام فحررها.. وترجمها.. وأحياها.. وطورها.. وأبدع فى علومها؟!..

• ولماذا ظل المترجمون - غير المسلمين - عاطلين عن العمل سبعة قرون.. حتى غدوا مواطنين فى الدولة الإسلامية.. فابدعوا فى الترجمة.. وشاركوا فى بناء الحضارة الإسلامية، عندما استدعاهم الإسلام للعمل والبناء؟!

• للإجابة عن هذه الأسئلة - التى يتهرب منها الكثيرون! - يصدر هذا الكتاب، ليكشف عن حقيقة الإسلام.

عوامل امتياز الإسلام
«شهادة غربية»

• ... ان الإسلام هو اعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وانصافا...

• ... وان الجهاد الإسلامى ليس ما تطلق عليه المسيحية «الحرب المقدسة»...

• ... ولقد كان الفكر اليونانى تجريديا، لا يهتم بالتجريب، لأنه من العمل اليدوى، الخاص بالعبيد!...

• ... ولقد احتقر الفكر المسيحى الطبيعة، وعلومها؛ لأنها دنس وخطيئة.. وحصر العلم فى الإنجيل!...

• ... اما العقل المسلم، فإنه هو الذى جعل التجريب والعلوم الطبيعية عبادة، تجعل العلماء أكثر خشية لله، اذ الطبيعة - فى الإسلام - خلق لله، تسبحه، وليست دنسا... ولذلك، ادخل المسلمون النور والنظام على أعمال الأقدمين.. وأحيوا تراث الحضارات القديمة، الذى ظل حبيس الصناديق المسلسلة بالجنازير!.. وابدعوا فى سائر ميادين العلم الطبيعى، منذ القرن الهجرى الأول.. بينما ظلت الحضارة المسيحية الأوروبية معادية للعلم الطبيعى، فلم تعرف أول فلكى - كوبرنيكوس - إلا فى القرن السادس عشر!.. بعد هزيمة المسيحية أمام العلمانية!..

• تلك سطور من شهادة المستشرقة الألمانية: د. سيجريد هونكه - التى تقدمها صفحات هذا الكتاب.

6 223002 801770